الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العلي و البحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945- قالمة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية **قسم: التاريخ**



أثر الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام على الحياة الاجتماعية و الدينية خلال القرن 5 -6 هـ / 11 - 12 م

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي.

إعداد الطالبة:

- وفاء شابو
- أميرة بوزهيــر

إشراف الأستاذ:

د. طوهارة فؤاد

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
خالدي مسعود	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	8ماي 1945-قالمة-
طـوهارة فـؤاد	أستاذ محاضر- أ-	مشرفا	8ماي 1945-قالمة-
أحلام يوسف	أستاذ محاضر- ب-	مناقشا	8ماي 1945-قالمة-

السنة الجامعية: 2022-2023



الحمد الله تعالى الذي هدانا و نور دربنا و وفقنا في إنجاز هذه المذكرة ، وبعد :

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور فؤاد طوهارة

الذي كان عونا لنا في عملنا هذا ،وكان نعم الموجه والمرشد طيلة مرحلة البحث ولم يبخل علينا بنصائحه المستمرة .

و الشكر موصول أيضا للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على ما سيبذلونه من جهد في تقويم وتقييم المذكرة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم التاريخ بالجامعة راجية من الله أن يظل عامرا بأساتذته وطلابه وأن يحقق هدفه في نشر العلم وتخريج الأجيال .

وصلي اللهم وسلم وبارك على النبي الأمين،

محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الإهداء

أهدي عملي هذا وثمرة جهدي إلى من حملتني
وهنا على وهن، إلى ينبوع الرحمة والأمان إلى التي
رافقتني منذ أن كنت أحمل حقيبة صغيرة إلى أجمل
كلمة نطق بها لساني أمي الغالية أطال الله في عمرها
إلى من شقي وتحدى وتعب لأتعلم، إلى من زرع
في نفسي بذور الشموخ والكبرياء إلى أبي الغالي
أطال الله في عمره
إلى زوجي رفيق الدرب الذي طالما شجعني
لإتمام دراستي
إلى أبنائي الأعزاء محمد معز وأنس حفظهم الله
ورعاهم
إلى إخوتي اللذين كانوا سندي في هذه الحياة، وإلى
طلبة التاريخ خاصة تخصص المشرق الإسلامي
دفعة 2022-2023

وإلى كل الأصدقاء دون استثناء
إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

أميرة

اهداء

الى من جعلهما الله سبب في وجودي والدي ابقاهم الله ومتعهما

بالصحة والعافية الى من حافتني بدعائها ليلا ونهارا وحملتني وهنا على وهنا صاحبة التضحيات والعطاء امي الى الذي غرس البذور وقدم لها الرعاية وطال انتظاره لحظه الحصاد اللهم احفظه وبارك لي فيه ابي الغالي الى من احاطوني بالحب والعون والدعاء اخوتي واخواني شعبان وهنادي ومروه وخوله والى ولكل من ساعدني من قريب او بعيد لإكمال دراستي دعاء سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم اللهم اخرجنا من ظلمات الوهم وأكرمنا نور الفهم وافتح علينا معرفه العلم ويسر اخلاقنا بالحلم.

وفاء

قائمة المختصرات:

الكلمة	**الرمز المختصر**	**الكلمة**	**الرمز المختصر**
تعليق	تع	ت	تاريخ الوفاة
تحقيق	تح	هـ	هجري
ترجمة	تر	م	ميلادي
تقديم	تق	ع	العدد
مجلد	مج	ص	صفحة
طبعة	ط	/	الحد الفاصل بين
جزء	ج	د د	دون دار نشر
د– ت	دون تاريخ	P P	PAGE
د ط	دون طبعة		

1. مقدمة:

كانت حروب الفرنج التي عُرفت اصطلاحاً باسم الحروب الصليبية صدامًا عسكريًا، ومواجهة حضارية طويلة ومضنية بين الشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي الكاثوليكي، بدأت هذه المواجهة في وقت كانت فيه الحضارة العربية في العالم الإسلامي قد بلغت أقصى مراحل نضجها وتطورها خلال القرن الخامس و السادس الهجري/ الحادي عشرو الثاني عشر الميلادي على الرغم من حالة التشرذم والتفكك السياسي الذي كانت تعيشه القوى الاسلامية في الشام (490 هـ/1098 م) ، مما يسّر على الصليبيين مهمتهم، وفي خضم المواجهة تجلت عوامل ضعف العالم العربي الإسلامي وتجلت ، في الوقت نفسه، عوامل القوة التي ساعدته على الصمود أمام "الغزو الصليبي" والانتصار عليه.

كان للحملات الصليبية الأثر البالغ في بلام الشام في مختلف النواحي خاصة الاجتماعية منها والدينية، فمن الناحية الاجتماعية، أحدثت شرخا كبيرا فيما يتعلَّق بالطبيعة السكانية والنظام الأخلاقي والقيمي، لاسيما وأن بلاد الشام تنفرد تاريخيًّا بتعدد الأجناس والثقافات والديانات، وقد زادها الوجود الصليبي نزيفا نتيجة المذابح التي قاموا بها وعمليات التهجير وإعادة الاستيطان والفصل العنصري الذي حرَّم على المسلمين دخول القدس، إضافةً إلى اضطراب الأمن وكثرة اللصوصية، وبيع أسرى الحروب كعبيد.

أما من الناحية الدينية فقد كانت لها إفرازات سلبية على الخارطة الطائفية والمذهبية لبلاد الشام، فالسنّة والشيعة تقاسموا السلطة في العراق لفترات متناوبة، لكنهم كانوا في صراع دائم من أجل السيطرة واعلاء كلمة المذهب، إلا أن الصعود السنّي على يد السلاجقة تسبب في انحسار وتراجع المذهب الشيعية هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت الحياة الدينية للمسلمين عرضة للانتهاك من خلال سياسة التنصير التي استهدف المجال والساكنة، رغم وجود فترات من التعايش والتعاون البناء.

أولا :أسباب اختيار الموضوع :

- تقديم الإضافة للموضوع ولو بإسهام بسيط من خلال إنجاز دراسة علمية حول أثر الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام على الحياة الاجتماعية والدينية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين الحادي والثاني عشر الميلاديين.
- حاجة الموضوع لدراسة أكثر دقة من الجانب الاجتماعي و الدينية على خلاف الدراسات السابقة التي تناولت الجانب العسكري بشكل خاص.
- الرغبة الشخصية في دراسة فترة هامة من فترات الحروب الصليبية على بلاد الشام

ثانيا: أهداف الدراسة:

- إزالة الإبهام والغموض الذي يكتنف بعض جوانب الموضوع.
- إبراز الأثر السلبي للحروب الصليبية وتداعياتها على الحياة الاجتماعية والدينية في المناطق التي استولى عليها الصليبيين.
- التأكيد على مظاهر التعايش والتعاون البناء في فترات محددة من زمن الدراسة رغم الصراع المحتدم بين الطرفين.

ثالثا : حدود الدراسة:

أ- **الحدود الزمانية** : يشمل نطاق الدراسة من الناحية الزمنية الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى غاية القرن السادس هجري / الحادي والثاني عشر ميلادي، أين انطلقت الحملة الصليبية من أروبا الغربية باتجاه الشرق الأدنى الاسلامي.

ب- الحدود الجغرافية: يشمل نطاق الدراسة بلاد الشام و المناطق المرتبطة بها، و التي كانت عرضة للهجمات الصليبية بقيادة الفرنجة، بما تركه من تأثيرات في الجوانب الاجتماعية والدينية لبلاد الشام خلال القرن 5-6 هـ / 11-12 م.

رابعا: الإشكالية:

عرف عن الحروب الصليبية أنها العامل الأساسي في التغيرات التي طرأت على أوروبا والشرق منذ القرن 5هـ/ 11م، لذلك وجب علينا أن نحاول رصد الإفرازات والأثار التي

ترتبت على الغزو الصليبي لبلاد الشام ، والمواجهة بين العرب المسلمين والصليبيين سواء على المستوى الاجتماعي أو الديني، ويمكن حصر إشكالية الموضوع في :

- طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام ومدى تأثرها بالصراع الاسلامي الصليبي خلال القرن الخامس والسادس الهجري ، الحادي عشر والثاني عشر الميلادي .
- الخارطة الطائفية والمذهبية في بلاد الشام ومدى تأثرها بتداعيات الحروب الصليبية سلبا وايجابا.

و للإجابة على هذه الاشكالية ارتأينا طرح الأسئلة البحثية التالية :

- كيف كانت بنية المجتمع الشامي خلال القرن 5 و6 هـ / و11 و12م؟
- وما تأثير الحروب الصليبية على الطبيعة السكانية والنظام الأخلاقي والقيمي للمجتمع الشامي؟
- وهل هناك ظواهر دخيلة ارتبطت بعادات وسلوكات المجتمع الشامي ؟
- بماذا تميزت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والصليبيين؟ هل كان هناك انسجام وتعاون بين الطرفين؟ أم أن الخلاف والصراع هو الميزة الأساسية في العلاقات الثنائية؟
- كيف كانت الخارطة الطائفية و المذهبية لبلاد الشام عصر الحروب الصليبية ؟
- هل التنوع المذهبي كان سبا في احتدام الخلاف والصراع أم كان عاملا أساسيا في الوحدة والاندماج؟
- و ما تأثير الوجود الصليبي على الحياة الدينية لساكنة بلاد الشام على اختلاف مكوناتهم العرقية ؟

خامسا: المنهج العلمي : اعتمدنا في دراستنا على:

- **المنهج الوصفي:**

- في سرد ووصف الأحداث التاريخية المرتبطة بالحملة الصليبية على بلاد الشام وتأثيراها على الحياة الاجتماعية والدينية ، حسب ما وقفنا عليه في المصار والمراجع التاريخية التي أرخت لهذه ، خاصة تلك المعاصرة للحث .

-**المنهج التحليلي:**

بإخضاع ما تم جمعه من المادة العلمية للنقد و التحليل من أجل للوصول الى حقائق تاريخية تعكس الواقع الاجتماعي والديني لبلاد الشام عصر الحروب الصليبية ،

سادسا: خطة البحث:

انطلاقا من المادة الخبرية التي تمكنا من جمعها ووقفا للمنهج المتبع، تمت معالجة موضوع الدراسة في خطة بحثية تتكون من مقدمة وثلاثة فصول رئيسة وخاتمة، وعدد من الملاحق ذات الصلة بالبحث .

حاولنا في التوطئة للموضوع التعرف عن المجال الجغرافي لبلاد الشام وأهميته الدينية والإجتماعية.

خصصنا الفصل الأول الموسوم الحملة الصليبية الأولى وتأسيس الإمارات الصليبية القرن 5 و6 هـ / و11 و12م تسليط الضوء على مبحثين رئيسيين: ماهية الحركة الصليبية، تأسيس الإمارات الصليبية في بلاد الشام.

وجعلنا الفصل الثاني الذي جاء بعنوان : أثر الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام خلال القرن 5 و6 هـ / و11 و12م ، حيث تناولنا في المبحث الأول أثر الحروب الصليبية على التركيبة السكانية في المجتمع الشامي، وعالجنا في المبحث الثاني تداعيات الحروب الصليبية على العادات والتقاليد في المجتمع الشامي، وركزنا في المبحث الثالث على : ظاهرة الاستيطان وتوطين العناصر الصليبية

وخطر تهجير العناصر المسلمة ، أما المبحث الرابع فتعرضنا فيه للعلاقات الاجتماعية بين المسلمين والصليبيين .

أما الفصل الثالث كان بعنوان : أثر الصراع الإسلامي الصليبي على الحياة الدينية في بلاد الشام خلال القرن 5 و6 هـ / و11 و12م ، حيث عالجنا في المبحث الأول السنة والشيعة الإمامية في مواجهة الفرنجة والمبحث الثاني السنة والشيعة الإسماعيلية في مواجهة الفرنجة وخصصنا المبحث الثالث لنشاط الهيئات الدينية الصليبية في بلاد الشام، والمبحث الرابع الحياة الدينية للصليبيين في بلاد الشام .

واخيرا وضعنا خاتمه بحثية تعرضنا فيها لهم النتائج التي توصلنا إليها، وزودنا ذيل البحث بمجموعة من الملاحق والخرائط التي تقدم المزيد من المعلومات للدراسة، وحوصلة عامة .

سابعا: صعوبات الدراسة :

- تتطابق المادة العلمية في كثير من المصادر الاسلامية .
- قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت أثار و نتائج الحروب الصليبية .
- عدم اتقان اللغة اللاتينية التي أرخ بها العديد من المؤرخين للحروب الصليبية .

وتبقى هذه الدراسة عمل متواضع في حق أثر الحروب الصليبية على جوانب الحياة في بلاد الشام.

ثامنا: عرض لأهم مصادر ومراجع البحث:

مما لا شك فيه لا يمكن لأي باحث في دراسة تاريخ المشرق الإسلامي الاستغناء عن المصادر والمراجع المتخصصة التي تؤرخ لفترة الحروب الصليبية، وقد تعددت هذه المصادر وتنوعت حسب قيمتها التاريخية، أهمها:

1-المصادر العربية:

- **ذيل تاريخ دمشق** : لابن القلانسي حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي (ت555هـ) ولد ابن القلانسي في كنف عائلة مثقفة

معروفة حيث نشأ على ثقافة دينية وأدبية، ومن أهم أعماله كتابه ذيل تاريخ دمشق والذي يعتبر من أهم المصادر التاريخية التي تناولت الغزو الإفرنجي لبلاد الشام.

- **نزهة الأنام في محاسن الشام** : لمؤلفه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد، أبو البقاء تقي الدين البدري الدمشقي ولد بدمشق (847هـ/1443م) : أفادنا هذا الكتاب في جغرافية بلاد الشام وحدودها وأهمية موقعها الذي جعلها محط أطماع الغرب الأوروبي .
- **الكامل في التاريخ** : لأبن الأثير عز الدين بن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني ولد بالجزيرة في (630 هـ/ 1233 م) أنتقل الى الموصل مع والده وكان إمام حافظ للحديث وحافظ كذلك للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، ومن أهم كتبه الكامل في التاريخ، استعنا به في أغلب فصول الدراسة خاصه الفصل الثاني و الثالث، لأن مؤلفه معاصر للحدث و يحتوي كتابه على أحداث و وقائع مفصلة حول تاريخ الحروب الصليبية منذ بدايتها .

- **زبدة حلب في تاريخ الحلب:** لابن العديم كمال الدين (ت 660هـ/1263م) نشأ ابن العديم وتعلم في حلب على والده وعمه وعديد من العلماء، ورافق أباه في رحلاته إلى دمشق والقدس والعراق والحجاز، وقد اعتمدنا على كتاب "زبدة حلب في تاريخ الحلب خاصة الجزء الثاني والثالث، وقد أفادنا كثيرا في الحديث عن تأسيس الإمارات الفرنجية وكذلك العلاقات المتبادلة بين المسلمين والصلبيين.

- **كتاب الاعتبار** : لأسامة ابن المنقد مؤيد الدولة أبن مرشد أبن علي الشيرازي ولد في (488 هـ /1095م) وكان من كبار رجال بني منفذ أصحاب قلعة شيراز سكن دمشق على أيام نور الدين محمد وقام بالهجرة الى القاهرة، ثم استوطن في عكا وأشتهر بشعر والمبارزة، اهم كتبه الاعتبار حيث أحتوى الكتاب على الجوانب الاجتماعية في بلاد الشام ومظاهر البطولة للمرأة المسلمة في عصر الحروب الصليبية، وكذلك انحلال الجنسي لدى الصليبيين وقام كذلك بتحليل سلوكياتهم الإيجابية والسلبية وكتاب الاعتبار كان جامع لبحثنا، وما يميزه انه عاصر الحروب الصليبية وكان له علاقات شخصية مع الصليبيين في أوقات السلم .

- **رحلة ابن جبير** : محمد أبن احمد أبن جبير الكتائي أبو عبد الله وقيل أبو الحسين المعروف بأبن جبير، ولد في مدينة بلنسيا (ت540 هـ/ 1145 م) تلقى العلم على يد شيوخ عصره في غرناطة، وقام أبن جبير بثلاث رحلات الى المشرق عصر الحروب الصليبية، وبشكل خاص الرحلة المعروفة باسم " اعتبار الناسك في ذكر الأثار الكريمة والمناسك "

تناول أبن جبير في الرحل جانب مهم من جوانب وهو العلاقات السلمية بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام، كما أن أبن جبير عرض بعض الجوانب الخاصة بالعادات والتقاليد الاجتماعية سواء لدى الصليبيين او المسلمين، وقد استفدنا من هذا الكتاب خاصة في الفصل الثاني من دراستنا، وما ميز رحلة أبن جبير انه عصر فترة الحروب الصليبية .

إضافة إلى هذه المصادر السباقة الذكر فقد استفدنا من عدد من المصادر الأخرى، من بينها كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون وكذلك كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لبهاء الدين يوسف ابن شداد (ت660هـ/ 1234 م) في وايضا كتاب "السلوك في معارف دول الملوك" للمقريزي (ت 745 هـ/ 1442 م)، بالإضافة الى عدد من المصادر الأخرى.

1- المصادر المعربة:

- **تاريخ الحملة إلى القدس**" لفوشيه الشارترى : اعتمدنا على النسخة المترجمة من طرف زياد العملي ، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كون مؤلفه مستوطن فرنجي عاصر الحروب الحملة الصليبية منذ بدايتها إلى غاية استقراره كمواطن في الإمارة الصليبية، فكان بذلك شاهد عيان واعتمدنا عليها خاص في الفصل الأول.
- **تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار** لوليم الصوري: اعتمدنا على الترجمة العربية التي قام بها سهيل ذكر، ويعد هذا الكتاب موسوعة في تاريخ الحروب الصليبية تتناول حقبة طويلة من تاريخ الصليبيين، وتأتي أهميتة ان مؤلفه كان معاصر لأحداث الحروب الصليبية وكان شاهد عيان، زودنا بكثير من المعلومات حول الاضطهاد الصليبي للمسلمين، وقد كان هذا الكتاب جامع لبحثنا بأجزائه الأربعة .

- **الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس** ليوشع براور: المؤرخ الإسرائيلي ولد عام 1918م، تنوعت مؤلفاته من خلال اهتمامه بدراسة الكيان الصليبي من الداخل، وقد أفادنا في دراسة تاريخ الحروب الصليبية وسياسة الاستيطان الفرنجي .

-**أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس:** لفوشيه الشارتري، بطرس توديبور، وريموندا جيل، فقط كتب أصحابها على أحداث الحملة الصليبية الأولى وسيطرة الصليبيين على بيت المقدس.

أطلعنا كذلك على عدد من المراجع العربية المختلفة، من بينها المراجع الحروب الصليبية العام التي على رأسها ما كتبه المؤرخ الكبير سعيد عبد الفتاح عاشور "الحركة الصليبية", "وأضواء جديده على الحروب الصليبية"," وتاريخ اوروبا في العصور الوسطى "وكذلك كتاب محمد مؤنس عوض في" الصراع الإسلامي الصليبي"(السياسة الخارجية للدولة النورية) وإضافة الى ما كتبه محمد كرد علي" خطط الشام "وكتاب محمد الحويري" الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرن الثاني عشر الميلادي" ,"وماهية الحروب الصليبية" لقاسم عبد القاسم وغيرها من المراجع التي أفادتنا كثيرا في كل فصول الدراسة خاصه في تفاصيل الأحداث التاريخية التي مرت بها الصراع الإسلامي_ الصليبي على بلاد الشام .

أما المراجع اللاتينية التي أطلعنا عليها:

- جوناثان ريلي سميث: ولد سنة 1938، مؤرخ إنجليزي ومن أهم اللذين أرخوا للحروب الصليبية، من أهم كتبه الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية صليبية، وقد ساعدنا هذا الكتاب في التعرف على دوافع الحرب الصليبية .

-ستيفن رنسيمان "الحروب الصليبية"، والذي كانت له أهمية خاصة في جميع مراحل البحث، وكذلك أنتوني بردج وكتابه "تاريخ الحروب الصلبية ."

في الأخير نرغب الى من يتعثر لنا على خطأ أن ينبهنا إليه، وأشكر سعيه وأثني عليه، أو يعذرني فإن عقل الناس أعذرهم للناس، ولا أقول إن كل خطأ سهو جري به القلم بل أعترف أن ما أجهل أكثر مما أعلم.

مدخل تمهيدي

مدخل تمهيدي: المجال الجغرافي لبلاد الشام وأهميته في الصراع الإسلامي الصليبي

1- المجال الجغرافي لبلاد الشام

2- أصل التسمية:

3-أهمية مواقع بلاد الشام في الصراع الصليبي الإسلامي

مدخل تمهيدي: المجال الجغرافي لبلاد الشام وأهميته في الصراع الإسلامي الصليبي

1. المجال الجغرافي لبلاد الشام:

كانت حدود بلاد الشام بعد الفتح الاسلامي شبيهة بحدودها أيام الدولة البيزنطية، ونجد أن الجغرافي الرحالة ابن حوقل كان أكثر تحديدا لموقع بلاد الشام الجغرافي إذ قال: يحد الشام من بحر الروم وشرقيها البادية من أيلة ، إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم وشماليها بلاد الروم وجنوبيها حد مصر وتيه بني اسرائيل وآخر حدودها مما يلي معر ورفح، مما يلي الروم الثغور المعروفة قديما بثغور الجزيرة وبني ملطية والحدث ومرعش والمصيصة [1]

أما الجغرافي الدمشقي شيخ الربوة فيقول: إن حدود بلاد الشام[2]، تمتد من ملطية[3] إلى العريش ومرعش[4] وصافتا والمصيصة، سبعة وعشرون يوما إلى العريش وصافتا وعرضه من الأعراض من منبع على الفرات إلى طرطوس، كانت بلاد الشام لها حدود جغرافية طرحت من خلالها تباينات حول الرحالة والباحثين بطبيعة الحال كانت لها أيضا موقع فلكي يميزها عن غيرها من البلدان الأخرى، أما بالنسبة لموقعها الفلكي فتقع ما بين خطي طول 24° و27° وخطي عرض 31° و36° ، أما مساحة بلاد الشام، قدرها الرحالة حسب الفترة الزمنية التي تستغرق في قطعها فقد ورد أن طولها من الفرات : العريش بنحو شهر، أما عرضها من جبلي طيء، اجاندوا القبلة إلى نحو الروم البحر المتوسط ومقداره

---

(1) ابن حوقل ابو القاسم، صورة الأرض، د ط، منشورات المكتبة الحياة، بيروت، د س، ص 153.

(2) إيمان أحمد حسين مقابلة، القرية في بلاد الشام في العصر المملوكي، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، 1998م، ص 22.

(3) ملطية: بلد من بلاد الروم تتاخم الشام، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان والأسماء، ج5، ط 2، دار صادر، بيروت، 1995، ص 192.

(4) مرعش: من مدن الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق، انظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 207.

عشرون يوما، وبالتالي فإن البراري المترامية الأطراف في شرقي بلاد الشام تنقسم إلى قسمين المعمورة والبادية [1].

فالقسم الاول المعمورة يحتوي على عدد كبير من القرى والسكان وهو القسم الصالح للرعي والسقي ويقابله في مصر والعراق والريف الممتد من شواطئ النيل والرافدين، أما القسم الثاني في البادية الواقع في شرقي المعمورة وهذا القسم قليل الكلأ والماء غير صالح للرعي[2] كذلك توجد في الشام السهول والمنخفضات، التي كانت فاصلا ما بين مناطق الشام متعددة وحتى المنطقة الساحلية فهو ينقسم أوسط وجنوبي[3].

وما يدل على قداسة بلاد الشام التي جعلها الله منزل الأنبياء وهبط الوحي ومحل الأنبياء والأولياء، قوله تعالى:﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [4] ، وقوله أيضا: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [5]

2. أصل التسمية:

تعددت الروايات في أصل تسمية بلاد الشام، حيث قال بعض أصحاب الأثر سميت بذلك لأن قوما من بني كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال، فسميت الشام لذلك، وقال آخرون من أهل الأثر سميت الشام بسام ابن نوح بعد أن رست سفينة نوح بعد الطوفان على جبل اسمه الجودي وتغرق على أثرها أولاده سام وحام ويافث وذلك لأنه أول من نزلها، فجعلت السين شينا لتغيير اللفظ العجمي.[6].

---

(1) إيمان احمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص- ص 29-21.

(2) أحمد وصفي زكرياء، عشائر الشام، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1403 هـ-1983م، ص 18.

(3) القلقشندي أبو العباس، صبع الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، ج4، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 35.

(4) الأنبياء، الآية 71.

(5) الإسراء، الآية 01.

(6) حسن عطرلي، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط1، دار الجيل بيروت، لبنان،1407 هـ-1987م، ص- ص 19-20.

أما الشام فهو من فعل اليد الشومي وهي اليسرى يقال أخذ شامه أي على يساره، وشامت القوم ذهب على شمالها، وقال قوم: هو من شؤم الإبل وهي سردها وحفارها من البيض[1]، ولأن اسم سام بالسريانية شام وبالعبرية يشم[2] ومدينة دمشق من أجل بلاد الشام وأحسنها مكانا وأعدلها هواء وأطيبها ثرى وأكثرها مياها، واوفرها فواكه وأعمها خصبا وفي هذا استعملت كلمة شام للشارة الى مدينة دمشق فهي احد اسمائها الكثيرة والاسم المرادف على مر العصور التاريخية. [3]

جاء في رواية أبي داود في سننه عن محاسن بلاد الشام عن عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنكم ستجندون بعدي أجنادا ثلاثة جندا إلى اليمن وجندا إلى الشام، وجندا إلى العراق" ، وقال الصحابي عبد الله خرلي يا رسول الله، قال "عليك بالشام فإنها خيرة الله في أرضه يبتجي إليها خيراته من عباده وإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام وفسطاط المسلمين بأرض منها يقال لها الغوطة.[4]

وقال الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه " أربع مدائن من مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار، فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق، وأما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وأنطاكية المحترقة وصنعاء"، وفي حديث حسن مسلسل بالدمشقيين وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال "إنكم ستجدون أجنادا ثلاثة، جندا بالشام، وجندا بالعراق، وجندا باليمن".[5]

---

[1] ابن شداد، الإعلاق الخطير في ذكر أمراء الشام والجزيرة تح يحي زكرياء عبادة، ج1.ط1منشورات وزارة الثقافة، سورية، 1991، ص 15.

[2] ابن عساكر(ت499هـ-571م)، تاريخ مدينة دمشق، تحق محب الدين أبي سيد عمر بن علامة العمري، ج1، د ط، دار الفكر، 1415هـ- 1990م، ص10.

[3] الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفات، مج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422 هـ، 2002، ص 360.

[4] ابن اليقاء عبد الله البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، 1400هـ - 1980م، ص9.

[5] الشريف الإدريسي، مصدر السابق، ص9.

وهناك من يرى بأن أرض الشام مختلفة الألوان بالحمارة والبياض والسواد، فسميت بذلك شاما، كما سمي الخال يبيم الإنسان شامه وجمعها شامات، وقيل سميت شاما كثرة قراها وتداين بعضها من البعض [1] ، ومازال اسم الشام يتردد على ألسنتنا حتى اليوم على الرغم من الأسماء البديلة الرسمية فالناس في جميع أنحاء البلاد العربية عرفوا الشام من خلال الحدود السياسية فيتناولون تسميات أخرى.[2]

3. أهمية مواقع بلاد الشام في الصراع الصليبي الإسلامي:

1.3. الأهمية الدينية:

للشام أهمية دينية متميزة ، أرتبط إسمها بالرسول صلى الله عليه وسلم، فهي أرض الإسراء والمعراج يقول الله تعالي "سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "[3] ، وتعد كذلك محطة تقديس وتعظيم أصحاب الديانات السماوية والفرق المختلفة ولا سيما وأنه تعاقب على زيارتها الأنبياء " موسى وعيسى ومحمد" خاتم الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام). [4]

برزت كذلك أهميتها في منطقة فلسطين لأنها كانت مهدا للديانة النصرانية التي عاش فيها السيد المسيح (عليه السلام)، حيث أشتد الصراع عليها في عصر الحروب الصليبية، فحمل الغرب شعار الصليب ووجه حملاته إلى المشرق الإسلامي بغرض استرجاع الأماكن المقدسة في فلسطين[5] ورغبوا في رؤية الأماكن التي تجسد فيها المسيح (عليه السلام) وقد سعوا إلى استعادة ذكريات العهد القديم والجديد، والجدير بالذكر إنه لم يكن في الغرب الأوروبي مؤسسة أخرى كتلك السلطات و الصلاحيات والوسائل الروحية والمادية تمكنها من

---

[1] إيمان أحمد حسين مقابلة، المرجع السابق، ص 21.

[2] عفيف البهنسي، الشام والحضارة دراسة تاريخية، ط1، وزارة الثقافة، دمشق، 1986م، ص 24.

[3] سورة الإسراء، آية 1.

[4] السيوطي، اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحق، أحمد رمضان احمد، د ط، ج1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م، ص 5.

[5] ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، تر نور الدين خليل، ج1، ط2، دار النش الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1996م، ص63.

الدعوة الى الحرب الصليبية عند العالم الإسلامي سوى المؤسسة الكنيسية البابوية, فكان للكنيسة دور فاعل في امرين, الأول توجيه الحركة الصليبية والثاني السيطرة عليها باسم الدين[1].

2.3. الأهمية الاقتصادية:

ولا تقل الأهمية الاقتصادية لبلاد الشام عن الأهمية الدينية لقد كان العرب يتاجرون معها قبل الإسلام وبعد الفتح الإسلامي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليكم بالشام فإنها خيرة الله الله في أرضه، يجتني إليها خيراته من عباده...وإن الله توكل لي بالشام وأهله".[2]

وعلى رغم من الستار الديني الذي سعى من خلاله رجال الدين تبرير هجماتهم على بلاد المسلمين فقد برزت أهمية العامل الاقتصادي في خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت الفرنسي 489هـ/1095م وقال " أرض كنعان التي تفيض لينا وعسلا"[3]

ومن هنا علينا تحديد الأهمية الاقتصادية التي تميزت بها بلاد الشام لما جعلتها محطة صراع بين المسلمين والصليبيين وتمثلت بالآتي:

- خطوبة أرضيها الزراعية بسبب وفرة مياه الأمطار وجود العديد من الأنهار والبحيرات[4] والعيون والآبار فيها كما اشتهرت بالعديد من الصناعات والمهن قبل الغزو الصليبي ولا سيما صناعة المسرجات والستر والصابون والنبيذ والأقمشة الحريرية والزجاج والمعادن والخزف. [5]

---

[1] قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية، دط، القاهرة، 1993م، ص 24.

[2] أبو داود سليمان بن الأشعب، السنن، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار الحديث، القاهرة، 1994م، ص 4.

[3] أرنست باركر، الحروب الصليبية، تر، السيد الباز العريبي، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 6.

[4] محمد مؤنس عوض، الحروب الصلبية بين الشرق والعرب، ط1، عين الدراسات والبحوث، القاهرة، 1996م، ص 6.

[5] يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت القدس، تر: عبد الحافظ البنا، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة 2001م، ص 423.

كذلك حظيت بلاد الشام بأهمية تجارية بالغة في العالم لأنها تشكل حلقة وصل بين البحر المتوسط والأناضول وشبه الجزيرة العربية كما أنها تربط بين وادي الرفدين،[1] ووادي النيل وأوروبا من جهة أخرى كما سكانها كانوا يمارسون النشاط التجاري منذ القديم الأزمان.

هذه الأهمية جعلت شان الشام يستميتون في الدفاع عنها ويبذلون الغالي والنفيس من أجل المحافظة عليها والموت دفاعا عن ترابها المقدس وقد وصلت درجة حب أهل الشام لها أنهم جعلوا حبهم لوطنهم الشام شعبة من شعب الإيمان فقال بعضهم مستحثا الناس على مقاومة "حب الوطن من الإيمان".[2]

---

[1] الحويري، محمود محمد، الأوطان الحضارية في بلاد الشام في الثاني عشر والثالث عشر، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص 15.

[2] أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصالحية، تحق: إبراهيم الزيبق، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ص، 26.

الفصل الأول: الصراع الإسلامي الصليبي على بلاد الشام وتأسيس الإمارات الصليبية في القرن 5-6 هـ و 11-12 م

المبحث الأول: أوضاع بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية

المبحث الثاني: ماهية الحروب الصليبية و دوافعها

1. ماهية الحروب الصلبية
2. دوافعها

المبحث الثالث: الحملة الصليبية على بلاد الشام

1. الحملة الشعبية
2. الحملة النظامية (489هـ-1096م)

المبحث الرابع: تأسيس الإمارات الصليبية في بلاد الشام

1. إمارة الرها
2. إمارة إنطاكية
3. بيت المقدس
4. إمارة طرابلس

المبحث الأول: أوضاع بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية

جاءت الحروب الصليبية في زمن كان فيه العالم الإسلامي يعاني من الخلافات المذهبية والانقسامات السياسية حيث كانت بلاد الشام تعيش وضعا سياسيا متفكك حيث أصبحت مسرعا للخلافات السياسية والمذهبية [1] (أنظر الملحق رقم 01، ص 117) والتي تمثلت في:

ضعف النفوذ الفاطمي وتفرق القبائل العربية في بلاد الشام لأن الخلافة الفاطمية كانت تدعي الزعامة الدينية من الناحية الروحية، وقد واجهت آنذاك خطر قرامطة البحرين ذلك لأنهم كانوا يتبعون مذهب الإسماعيلية[2] وفي هذا الصدد يقول ابن القلانسي:

" كان أهل دمشق يأبون المغاربة لمخالفتهم في الاعتقاد ولأنهم أمويين ولقبح سيرة الناظرين اللذين كانوا عليهم"، ذلك أن أهل الشام كانوا يدينون للمذهب السني والفاطميون اسماعيليو المذهب وبسبب تضارب المصالح بين الفاطميون والقرامطة ساءت العلاقة بينهما[3].

وإزاء ذلك سار أحمد القرمطي إلى الشام سنة 306هـ/981م، والتقى بجعفر ابن الفلاح، قائد الجيش الفاطمي في بلاد الشام وقتله مع جنوده ودخل الحسن القرمطي إلى دمشق وفتح الرملة ، و رغم العديد من المحاولات التي قام بها الفاطميون لتوطيد حكمهم في بلاد الشام إلا أنها باءت بالفشل ونجح القرامطة في إنزال الهزيمة بالفاطميين ، والجدير بالذكر أن تعاقب الولاة في بلاد الشام كان من الأسباب الرئيسية لضعف النفوذ الفاطمي، وخير دليل على ذلك ما حدث خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي اذ تعاقب على دمشق سبعة عشر واليا، ذكرهم ابن القلانسي، ولم يتجاوز مدة ولايتهم شهرين.[4]

---

[1] وفاء جوني، الحياة الإدارية والسياسية في الإمارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، 1041هـ-1919م، ص 14.

[2] علي محمد علي عودة الغامدي، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي 463-491/ 1070-1098، مذكرة لنيل درجة ماجيستير، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة في سنة 1402هـ/ 1982م، ص 43-44.

[3] نفسه، ص 30.

[4] ابن القلانسي أبو يعلى حمزة (ت555هـ-1160م)، تاريخ ابي يعلى ابن القلانسي او المعروف بديل تاريخ دمشق، مطبعة الإباء اليسوعيين، 1908م، ص 16.

توسعت دولة السلاجقة في عهد ملكشاه وسيطرت على عدة مدن في الشام، حيث تسلم أبى أرسلان مدينة دمشق سنة (371هـ/1075م) بعد أن تملكها بأمر من أخوه ملكشاه، وسيطر على مدن الشام، حلب وطرطوس وبعد وفاة السلطان ملكشاه، قام تاتاش بالسيطرة على مدينة حلب وقتل حاكمها سنة (487هـ/1094م) واستولى على مدينة حران والرها [1] وبعد موت تاتاش نشب الصراع بين أبنائه وأصبحت بلاد الشام موزعة على الأمراء السلاجقة المتنازعين فأنطاكية كانت تحت إمارة باغيسان التركماني [2] ورضوان في حلب ودقاق في دمشق، وظلت المنازعات قائمة بينهما إلى أن وصلت طلائع الحملة الصليبية الاولى سنة (491هـ- 1097م) في ظل هذا التمزق السياسي والصراع العسكري.[3]

لقد تنوعت أسباب الحروب الصليبية و تعددت حسب نظرة المؤرخين إليها حيث يقر البعض بأن هناك دوافع حقيقية تعكس الواقع التاريخي للمجتمع الغربي الأوروبي ، والبعض الآخر ، يرى بأنه مشروع باباوي خالص يخفي العديد من الأهداف والدوافع التي تحمل الكثير من الأطماع باسم الدين المسيحي.

---

[1] حازم أحمد سليم الحلاق، الأوضاع الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية والسياسية للمشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، (334-490هـ/945-1097م)، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، 1436هـ-2014م، ص 129.

[2] محمود العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط2، دار الغرب الإسلامي تونس، 1982، ص 18.

[3] حازم أحمد سليم الحلاق، المرجع السابق، ص 130.

المبحث الثاني: ماهية الحروب الصليبية ودوافعها

1. ماهية الحروب الصليبية:

- لغة :

كلمة صليب مشتقة من الفعل صلب [1] والصليب متعلق بعيسى عليه السلام قال تعالى « وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا » (157)[2].

- اصطلاحا:

يقصد بالحروب الصليبية الحملات ذات الطابع الديني التي أرسلها ملوك وامراء غرب أوروبا إلى الشرق الإسلامي ما بين عامين 489هـ-690 هـ/ 1096 -1291 [3] في حروب شنتها أوروبا المسيحية باسم الصليب ونصرة الرب ردا على كل الديانات لحماية الديانة المسيحية [4] ، و سميت بالصليبية اشارة لعلامة الصليب التي كانت توضع على ثياب وأسلحة المحاربين في حروبهم ضد المسلمين، حيث أنهم كانوا يعتبرونه واجب مقدس يقومون به من أجل الدفاع الأراضي المقدسة في فلسطين واهمها القدس ;ولذلك كانوا يحيطون على ملابسهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر [5] ، وسميت أيضا بمشروع يسوع المسيح لان الحركة الصليبية كانت حركة دينية ترتبط بالصليب رمز المسيحية [6].

---

(1) إبن منظور، لسان العرب، ج1، دار الصادر، بيروت، د س، ص 2477.

(2) سورة النساء، الآية 157.

(3) محمد سهيل طقوس، تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الفرنجة في الشرق) ، ط1، دار النفائس، بيروت، 2010م، ص 13.

(4) محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، 489-1206هـ/ 1096-1404م، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1399هـ-1979م، ص 18.

(5) سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1984م، ص 89-90.

(6) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ص 10-13.

ويرى البعض أن الحروب الصليبية هي عبارة حلقة من حلقات الصراع بين المشرق والمغرب وهو الصراع الذي ظهر في النزاع بين الفرس واليونان ثم بين الفرس والروم [1].

وفي هذا الصدد يرى المؤرخ البريطاني سميث انه هناك تسمية أخرى تسمت بها الحروب الصليبية وهي الطريق إلى الأرض المقدسة وعليه كانت أوروبا تعرف الحملة الصليبية على أنها طريق الله وكان مفهوم الحرب شاسعا عند الأهالي حينذاك [2].

فالحركة الصليبية هي حركة استعمارية ولدت في غرب أوروبا واتخذت شكل الهجوم الحربي المسلح على بلاد المسلمين وجذورها نابعة من الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي سادت غرب أوروبا في القرن الخامس الهجري واتخذت من الدين شعار لها [3] ، وحسب المؤرخ كوماس ماستناك هي حرب تخوضها سلطة روحية من أجل تحقيق مصالح دينية [4].

والجدير بالذكر انه في أواخر القرن الثاني عشر ميلادي ظهرت الكلمة اللاتينية (cruesignati) وتعنى (الموسوم بالصليب) للتعبير عن الصليبين، أما في أوائل القرن الثالث عشر فلم يظهر مصطلح يدل على الحركة الصليبية [5].

وفي الأخير يمكن القول أن الحركة الصليبية نبعت من الغرب الأوروبي المسيحي خلال العصور الوسطى [6] واتخذت شكل هجوم مسلح حربي وشيطاني على بلاد المسلمين

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، ج1، دط، مكتبة أنجلو المصرية، كلية آداب، جامعة القاهرة 1963، ص 22.

(2) جونائان رايلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، تر، محمد فتحي الشاعر، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999، ص 39.

(3) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصلبية 1095-1211م، د ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000م، ص 13-15.

(4) توماس ماشناك، السلام الصليبي، تر: البشير السباعي، دار النشر المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009م، ص 96.

(5) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 11.

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 10.

ويعرفها المؤرخ الفرنسي ريان بأنها حروب دينية خالصة دوافعها وأسبابها دينية تهدف وترمي إلى استرداد بيت المقدس من المسلمين[1].

وانطلاقا مما سبق حول ماهية الحركة الصليبية يتبين لنا أن العامل الديني ليس هو السبب الأول أو المباشر الذي ترجع له هذه الحركة فضلا عن عدة عوامل أخرى كانت سبب في اندلاع الحركة الصليبية عند المشرق الاسلامي.

2. دوافع الحروب الصليبية

أ. الدوافع الدينية:

يعد الدافع الديني هو سبب رئيسي الذي دفع الكثير من الأوروبيين الى المشاركة في الحروب الصليبية حيث دفعتهم عاطفة جياشة، اثر خطاب البابا أوربان (أنظر: الملحق رقم 02) الذي استعمل فيه جميع وسائل الإغراء الإثارة، ولابد من الإشارة إلى هذه الإغراءات التي وضعها[2] البابا أوربان الثاني[3] منها (انظر الملحق رقم 02، ص 118) :

- أن كل من يقاتل في الحرب قد وعد بأن تغفر جميع ذنوبه كما وعدهم بإخفاء جميع الضرائب الملزمة عليهم وتقديم لهم مختلف الإقطاعات وغيرها الإغراءات التي جعلت الآلاف من المتشردين الانضمام إلى الحروب المقدسة والأمراء وغيرها من الطبقات المجتمع الأوروبي، ليخلصوا الأرض الذي ولد فيها السيد المسيح[4] وبهذا نقول اتخذت الطابع الديني وسميت بالحروب الصليبية. [5]

وفي كتاب الحركة الصليبية بين "سعيد عبد الفتاح عاشور" أن أكثر الأوروبيين كان دافعهم الحقيقي في الحروب هو التعصب الديني ضد كل من المسلمين وأهل الذمة

---

[1] إسمنت غنيم، تاريخ الحروب الصليبية، د ط، جامعة الإسكندرية، 1996م، ص 11.

[2] محمد العروسي المطاوي، المرجع السابق، ص 34.

[3] البابا أوربان الثاني: ولد أوربان الثاني عام (427هـ/ 1035م) في شايتون سيرمان واسمه أودو، أصبح راهبا في ديار الكلوني بفرنسا سنة(461هـ/ 1068م)، التحق بخدمة البابا المتسلط المؤمن ايمانا بتفوق البابوية على الامبراطورية، ارتبط أوروبان الثاني بمجمع كنس في ساكسوني (478هـ/ 108م)، جوناثان ريلي سميث، المرجع السابق ، ص12

[4] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 18.

[5] جوناثان ريلي سميث، المرجع السابق، ص 38.

والمسيحيين واليهود الموجودين في العالم العربي الإسلامي [1] ، والواقع أن بعض المؤرخين درجوا على ربط الحركة الصليبية بالعامل الديني مثل المؤرخ رايان الذي ذكر ان أهدافها دينية بحتة وأن مقصدها الأول والأخير هو استرداد قبر المسيح واستخلاص بيت المقدس من قبضة المسلمين [2] ، فلم يكن العامل الديني يكفي وحده لقيام حركة خطيرة كالحركة الصليبية وانما العوامل الاخرى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. [3]

ب. الدوافع الاجتماعية:

ساد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى تمايز طبقي كبير حيث تألف من ثلاث طبقات، هي طبقة رجال الدين وطبقة المحاربين وطبقة النبلاء والفرسان وطبقة الفلاحين[4].

ولتوضيح ذلك نقول إن النظام الاقتصادي الذي قضي على الطبقة الأخيرة هي عامة الشعب والأقنان، تحت السيطرة أقلية المتحكمة من الأفراد والفرسان الإقطاعين، وبذلك جاءت هذه الحروب من أجل تغير أحوالهم وتخليصهم من الفقر والحرمان، وكذلك وجدوها فرصة للتخلص من الفرسان والإقطاعين وفرصة لخلاصهم في الدنيا والآخرة [5].

وقد كان للفرسان بحكم دورهم الحربي نفوذ كبير بل وتفوقت في بعض الأحيان على حساب السلطة الدينية التي يمثلها الملك الصليبي آنذاك لكونهم الفئة الحاكمة والقوة المقاتلة في بلاد الشام وقد أشار ابن منقذ الى طبقة الفرسان ولا عندهم تقدمة ولا منزلة غالية الا الفرسان ولا عندهم أناس الا الفرسان فهم أصحاب الرأي وهم أصحاب القضاء والحكم ، وكان هدف الكنيسة هو التلاعب بعقول الفلاحين الكادحين ضد المسلمين بأنهم سيحررون بيت المقدس وهو قبر المسيح، ويباركهم الرب والبابا لذلك شاركت هذه الفئة في الحروب

---

[1] عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 28.

[2] Riant : Inventaire des Lettres Historiques des crois a des Archies de l'orint lstin, 1, 2,22(paris.1881)

[3] جويف نسيم يوسف، الإسلام والمسيحية وصراع بينهما في العصور الوسطى، ط1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1986، ص 188.

[4] سعيد عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م،ص 26

[5] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 33.

الصليبية وكانت تعتبر هي الفئة الكبيرة، وأصبحوا يقاتلون المسلمين، وهذا بمثابة نيل المغفرة من الرب في ظنهم. [1]

ت. الدوافع السياسية:

توضحت الدوافع السياسية بخروج الكثير من الأمراء ومنافسيهم على البلاد التي يستولون عليها، حتى إنهم كانوا في معظم الأحيان يقسمون البلد قبل دخولها. وهذا الدافع أدى إلى توسيع نفوذهم من خلال تحصلهم على امتيازات تجارية.[2]

وإزاء ذلك خرج ملوك أوروبا وأمرائها بسبب ضغط البابوات والحاحهم الشديد وتهديدهم بالحرمان والطرد من الكنيسة ورحمتها، فلا يستطيعوا أي ملك أو أمير الاحتفاظ بعرشه أو بولاء شعبه، إن رفض المشاركة في هذه الحرب الصليبية أمثال: الامبراطور كاتيا فديريك بربروسا، وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد، وملك فرنسا فيليب، أغسطس. [3]

فضلا ان ملوك أوروبا كانوا يرون أن الدولة البيزنطية دخلت في طور الضعف، ولو سقطت فإن هذا يفتح الباب الشرقي لأوروبا بقوات المسلمين العسكرية إذا كانوا من السلاجقة أو غيرهم، يعني أن المسلمين قادمين من الشرق، والمسلمين في أراضي الأندلس واقترابهم من العاصمة البيزنطية (القسطنطينية) وهي مركز الدفاع الأول للنصارى ضد المسلمين [4]، ناهيك عن انقسام العالم الإسلامي إلى دولات وخلافات كالخلافة الفاطمية ببغداد والحركة الانفصالية التي سادتها، ثم سيطرة البويهيين ثم السلاجقة وظهور والعديد من الدويلات الغير محدودة في بلاد الشام [5].

---

[1] مصطفى وهبة، تاريخ الحروب الصليبية، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1997، ص 12.

[2] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 20.

[3] سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص 40.

[4] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 30.

[5] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 18.

ث. الدوافع الاقتصادية:

توضحت في كثير من الدراسات أن العامل الاقتصادي يعد أحد أهم العوامل التي دفعت الغرب الأوروبي للقيام بالحروب الصليبية [1]، و قد أسهم كثيرا في تحريك الأوروبيين الغربيين وزجهم في الحروب ضد المسلمين [2].

لذلك نقول أن الثورات والهجرات والحروب المهمة في تاريخ الحروب الصليبية ([3])حيث كان قلة وهم الفقراء من الطبقات الثلاثة من الفلاحين تعاني من قلة طعام والبطالة والجوع، وجاء في الكثير من الوثائق التاريخية أن أوروبا كانت في حالة جد سيئة، في تلك الفترة و لا سيما في الجانب الاقتصادي خلال القرنين 5 -6هـ/11-12م ، و لهذا المنطق نجد أن الذين شاركوا في الحملة الأولى هم طبقة الفلاحين الذين يسعون لتحسين حالتهم وتغيير ظروفهم نحو الافضل[4].

شارك أيضا عدد كبير من تجار المدن الايطالية والفرنسية والإسبانية في الحروب الصليبية من أجل السيطرة على الطرق التجارية للسلع المشرقية التي أصبحت مصدر ثراء للكثيرين، حيث قامت هذه المدن بالاستلاء على المراكز الرئيسية التجارية في بلاد الشام.[5]

فقد كانت المدن الإيطالية "بيزا، جنوة، أمالفي، البندقية" دور كبير في تشجيع الحركة الصليبية وتوسيع رقعتها للحصول على الامتيازات التجارية وديمومة مصالحها في الشرق[6].

لقد كان الإقطاع متحكما بشكل رئيسي في النظام السياسي والاجتماعي لأروبا ، حيث كان لكل إقطاعية محاربيها، وكانت هذه الإقطاعيات تخوض حروب مدمرة فيما بينها، مما خلفت وراءها مشاكل سياسية واجتماعية قاسية قام الباباوات على توجيه الفرسان على قتال

---

(1) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص 33.

(2) تيسير بن موسى، نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحملات الصليبية حتى وفاة نورالدين، د ط، الدار المعرفية للكتاب، دب، د ت، ص 55.

(3) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص 32.

(4) سعيد عاشور، المرجع السابق، ص 73.

(5) أحمد ابن خيرة، دور المغاربة والأندلس في الحروب الصليبية ما بين القرن 5 و9هـ، شهادة الماجيستر في تاريخ الوسيط، المشرف شرفي أحمد، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الجزائر 2، 2011، ص 9.

(6) محمد سعيد عمران، المرجع السابق، ص 20.

المسلمين بدل الحروب الداخلية والحروب بينهما التي كانت تشكل خلل في الأنظمة السياسية والاجتماعية وتحويلها إلى حروب خارجية[1]، وفوق ذلك كله حدوث القحط والجفاف الذي أصاب بعض مناطق أوروبا مما نتجت منه انتشار الأمراض الأوبئة والمجاعات الامر الذي أدى إلى سوء أحوال الفلاحين الكادحين، مما زادهم فقرا وجوعا وبطالة لذلك وجدوا ضالتهم في المشاركة بالحروب الصليبية من أجل تحسين أحوالهم والنجاة بحياتهم ، مهما اختلف المؤرخين حول دوافع الحروب الصليبية إلا أن أوروبا كانت تحمل في طيلتها دوافع حقيقية وأهداف مباشرة[2].

– معركة ملاذكرد أو مانزكرت (Malazuerd) وقعت بين السلاجقة[3] بقيادة السلطان "ألب أرسلان[4] والإمبراطورية البيزنطية بقيادة "رومانوس الرابع دايوجين في أرضية شمال بحيرة في سنة (473ھ/1071م) وقد انتصر السلاجقة وتوسعوا في آسيا الصغرى مهد دين العاصمة البيزنطية القسطنطينية، حيث تعد من الأسباب المباشرة [5]

– مساعدة الإمبراطورية البيزنطية المهددة من طرف السلاجقة الأتراك، ونجاة المسيحين في الشرق، نصرت إخوانهم في العقيدة الذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي. [6]

---

[1] قاسم عبد قاسم، المرجع السابق، ص ص، 51– 54.

[2] أحمد ابن خيرة، المرجع السابق، ص 74.

[3] السلاجقة: ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق الغرية، وينتمون إلى جدهم سلجوق بن دقاق، استوطنوا الأراضي الواقعة بين كاشغر ونوطان في أقصى بلاد التركستان، واستنادا إلى ما أورده الحسيني فإن دقاق هو أول من دخل الإسلام من أفراد قبيلته، أنظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام (471–511ھ/ 1078–1117م)، ط3، دار النفائس، بيروت، 2009، ص 76

[4] ألب أرسلان، وهو السلطان الكبير الملك العادل أبو الشجاعة "ألب أرسلان"، محمد السلطان جغري بك داوود ميكائيل ابن سلجوق ابن تقاق بن سلجوق التركماني، الغزي من عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم، ملك بعد عمه طغول بك، وكان عادلا سار في الناس سيرة حسنة، كريما رحيما، شفوق على الرعية رفيقا على الفقراء، أنظر: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير الأعلام والنبلاء، ج17، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص–ص، 414،415.

[5] ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (630ھ/1232م)، الكامل في التاريخ، تح، عبد الله القاضي، ج8، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، (1415ھ/ 1994م)، ص 388.

[6] عزيز سوريال عطية، الحروب الصليبية والعلاقات بين الغرب والشرق، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1998، ص 82.

- إنشاء دولة مسيحية في العالم العربي. [1]
- استرداد بيت المقدس من المسلمين وهو الهدف الأهم المعلن في الحركة الصليبية[2].
- التخلص من العناصر المشاغبة والمنحرفة وذلك عن طريق تهجيرهم إلى بلاد المسلمين.
- التخفيف من مدة النزاعات بين الأمراء والفرسان والأقطاعين التي أثارت الفوضى وهددت الكنيسة الكاثوليكية.
- رغبة الكثير من النبلاء لإقامة امارات لهم في الشرق وتطلع الفرسان والمقاتلين على غزو بلاد المسلمين ونهب وسلب خيراتها وثرواتها. [3]

---

[1] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 23.

[2] سوريال عطية، المرجع السابق، ص 82.

[3] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 267.

المبحث الثالث: الحملة الصليبية على بلاد الشام

1. الحملة الشعبية:

وضع البابا أروبان الثاني موعد سير الجيوش الصليبية يوم الخامس عشر من شهر آب سنة 489هـ، حيث اتفق مع قادة الحملة على منع المسنين وأصحاب العاهات والنساء الغير متزوجين للانضمام للحملة غير أن بطرس الناسك لم يلتزم بهذه التعليمات وخرج مع جيش كبير بلغ عدده اكثر من 15 ألف شخص اغلبهم من الرعاع والمعدمين [1].

تحركت جموع العامة لتهرب من الواقع الأليم الذي تعانيه ولم تستطع أن تصبر على اكتمال الجيوش النظامية وقررت أن تخرج مغترة بنفسها وبإعدادها الهائلة [2]على شكل مجموعات تحت قيادة عدة أشخاص مثل: جوتيه، بطرس الناسك، ولتر المفلس وغيرهم[3]، فقد تكونت هذه الحملة من خمس جيوش في أفريل 1096م، فكان الجيش الأول بقيادة فولر والجيش الثاني كان بقيادة جوتشالك، وبين ما ارتكبه جنود هذين الجيشين من أعمال النهب والتخريب بأراضي هنجاريا فقد لقيا الدمار الكامل على أيدى الهنجارين أما الجيش الثالث فقد دخل مع اليهود الموجودين في المدن الواقعة في نهر الراين في قتال أدى إلى فقدان حوالي عشرة ألاف منهم[4].

تمكن الجيش الذي كان بقيادة والتر المفلس وبطرس الناسك من الوصول إلى القسطنطينية دون أن يدخل في صراع مع بلغاريا أو المجر، بسبب مساعي الارتحال وبمجرد وصول هذين الجيشين إلى القسطنطينية ارتكبوا الكثير من الفضائح فيها[5] حيث قام جنوده بالهجوم على نيقية وفي اليوم الحادي والعشرين من تشرين الأول اتجهوا نحو عاصمة قلج

---

[1] سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1404-1984م، ص 94.

[2] راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين الزنكي، ط 1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2008م، ص 66.

[3] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 193.

[4] أحمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1045هـ-1985م، ص –ص72،71.

[5] أحمد الشامي، المرجع السابق، ص 72.

أرسلان[1] ونظرا لذكائه وشدة مراقبته علم بذلك ونصب لهم فخ في وادي داركون وقتل القسم الأكبر منهم[2].

لذلك خشي الإمبراطور البيزنطي على عاصمته فأسرع بنقلهم على المراكب إلى الضفة الشرقية للبسفور وبحر مرمرة وما إن أعلم السلطان قلج أرسلان السلجوقي بنزول هؤلاء بآسيا الصغرى حتى شرع في قتالهم وقفى عليهم قرب نيقية في أكتوبر من السنة ذاتها[3].

كانت حملة الفقراء عبارة عن نضال الريف الفتي، لسد احتياجاتهم الاجتماعية ضد الإقطاعية لكن جماهير الأقتان هي من دفعت الثمن لمحاولتها في تحقيق حلمها في التحرر نتيجة الأوهام الساذجة التي زرعتها الكنيسة في جماهير الأقنان، وبالتالي فإن الفلاحية لم يكسبوا الحرية في الشرق بل كسبوا هلاكهم.

وهكذا فشلت الحملة الشعبية التي قادها بطرس الناسك والتي كانت ترتكب الجرائم والنهب أثناء سيرها حيث لم ينجو من أفرادها إلا عدد قليل من بينهم بطرس الناسك نفسه الذي عاد إلى القسطنطينية وبعد أن رأى فشل حملته قبل أن تصل إل الأرض المقدسة[4].

2. الحملة النظامية (489هـ-1096م):

سميت بحملة الأمراء[5] أو الحملة النظامية[6] فقد بدت عليه روح النظام والانضباط وأكبر إحكام فقد سبقها جمع الأموال وتجهيزات والأدوات والآلات وإعداد الجيوش وشارك فيها أبناء

---

[1] قلج أرسلان، هو ابن سليمان بن قتلمش سلطان سلاجقة الروم 1086م اللذي كان من أبناء عمومه السلطان ملكشاه (1072-1092)، والذي فتح أنطاكية من عام 1085 ويرجع أصله إلى قتلمش بن إسرائب بن سلجوق اللذي شن على السلطان طغرل بك ونزح إلى المنطقة الجبلية الواقعة جنوب بحر قزوين، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر حسين محمد عطية، تق جوزيف سنيم، ط1، دار المعرفة الجامعية، 1998م، ص 127.

[2] سعيد أحمد برجاوي، المرجع السابق، ص 91-98.

[3] محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص 49.

[4] ميخائيل، زابوروف، الصليبيون في الشرق،تر: الياس شاهين، دط، دار التقدم، موسكو، 1986م، ص 59.

[5] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 48.

[6] أحمد الشامي، المرجع السابق، ص73.

وملوك أوروبا والأمراء من فرنسا وإيطاليا وإنجلترا واسكتلندا[1] وفي حقيقة الأمر أن هذه الحملة ضمت أربعة جيوش[2].

الأول كانت بقيادة " جود فري البويني"([3]) وأخوه "بلدوين"[4] اللذان سفارا عبر بلاد المجر والبلقان بقوات كبيرة حتى وصلوا إلى عاصمة بيزنطة في 23 ديسمبر 489هـ/1096م، ليحاربوا المتمردين هناك وكان الهدف منها إثارة حماس الصلبيين في حروبهم المقدسة([5]).

والثاني بقيادة "بوهيمند وروبرت جويسكارد"[6] يرافقه ابن أخته تنكريد [7]الذي كان سند له ضمن قيادة الحملة الثانية وأبحر هذا الجيش من ميناء برنديزي في جنوب ايطاليا إلى سواحل البانيا قد اخترقت ولاية مقدونية إلى القسطنطينية[8].

والثالث وانطلق من جنوب فرنسا، وسارت جموعهم نحو شمال ايطاليا ثم القسطنطينية[9].

---

[1] جعفري برون، تاريخ أوروبا الحديثة، تر، علي المرزوقي، ط1، دار الأهلية، عمان، 2006م، ص 215.

[2] أحمد الشامي، المرجع السابق، ص 71.

[3] جود فري: (Godfry of bouilion) كان يعرف بالدوق ولد سنة 1058م وهو أول حاكم لمملكة بين المقدس عشية الاستيلاء عليها في يوليو 1099م وأيضا الحق الهزيمة بالجيش العصري في عسقلان، توفي سنة 1104م، أنظر إلى ويليم الصوري، الحروب الصليبية (094م–1184م)، تر: حسن الجبشي، ج1، د.ط، مؤسسة الأهرام لنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص 1385.

[4] بلدوين: وهو الأخ الصغير لجودفري، كان أكثر ثقافة من أخيه وقد أسس أول إمارات صلبيه في الشرق وهي إمارة الرها، وأصبح ملكا لمملكة بيت المقدس، أنظر توديبوس، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، تق، جوزيف نسيم يوسف، ط1، دار المعرفة الجامعية، 1998م، ص 68.

[5] محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 202.

[6] بوهيمند: هو ابن روبرت جوسيكارد النورماندي وتوارث عن أبيه كل شجاعة وبراعة وكان يعلم باقتطاع ملفات ولجيش من النورمال، وأصبح أمير الأنطاكية بعد تعويضيها، أنظر: محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 28.

[7]تنكريد: شارك مع خاله بوهمند النورماندى في قيادة حملة إلى الشرق ووصل مع بوهيمند إلى القسطنطينية بعد خطة أشهر من تاريخ الحملة الأولى، توفي سنة 506هـ/1112م، أنظر: منى حماد، تبادل الأسرى المسلمين والصليبون وطرق معاملتهم بين الإطار القانون والواقع التاريخي 490هـ/586هـ/1097م–1191م، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ص 57.

[8] محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 28.

[9] محمد العروسي المطوى، المرجع السابق، ص 49.

تحت قيادة ريموند الصنجيلي[1]صاحب كتاب تاريخ الفرنجة غزة بيت القدس، وقد أوفد البابا معه الأسقف أدهيمار ليكون مندوبا يمثل البابوية لزعامة الصليبيين بالشرق [2].

أما الجيش الرابع انطلق من شمال فرننة تحت قيادة هيو فيرماند و hugue de Vermandois شقيق فليب الأول ملك فرنسا وقد تبعه كل من روبرت دوق نورماندي، وروبرت الفلاندور، ملكت هذه حملة شمال إيطاليا ثم سايرت ساحلها الشرقي وأبحرت من ميناء برندفيري إلى ألبانيا ثم [3]مقدونيا وصولا إلى قسطنطينية [4].

كانت الجيوش الصليبية كلما مرت بناحية انضم إليها المتطوعين بحاملة الصليب خصوص جيش "قودفووا" الذي اخترق أوربا و قد انظم إليه الكثير من النمسا والمجر فتكون في مجموع هذه الجيوش الأربعة جمع عظيم العدد يشمل مئات الألاف حتى تتعشم بخطتهم بقوله، كانت الجيوش الصليبية عبارة عن شعب كامل يسير [5]. (أنظر الملحق رقم 03، ص 121)

ان أول مجموعة وصلت إلى الأراضي البيزنطية بقيادة "جودفري البويني" وآخيه بلدوين، ويلاحظ بأن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين* (492هـ-516هـ/1081-1118م) أرسل رسالة إلى قائد الجيش اتفق فيها على عدم التعرض للسكان بالسلب والنهب كما حصل في الحملة العامة وفي مقابل ذلك قدم الامبراطور كل الدعم على مختلف المجالات من أجل أن يصلوا إلى مناطق السلاجقة، بعدما اتفق مع الإمبراطور البيزنطي بإعادة

---

[1]ريموند الصنجيلي كان كلونيا وكان أحد فرسان القديس بطرس التابع للبابا جريحوري السابع، وسبق له أن حارب المسلمين في اسبانيا كان أول نبيل بتقديم إلى الحملة بعد خطاب الدعوة مباشرة وكان عمره 60 سنة، وقد اقسم أنه سيقضي بقية عمره في الشرق، أنظر كارين ارستروغ، الحرب المقدسة "الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم"، سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 2005، ص 207.

[2] ستيفن رسينمان، المرجع السابق، ص ص 229-239.

[3] قاسم عبد قاسم، الحرب الصلبية الأولى نصوص ووثائق، دط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001م، ص 21.

[4] محمد العروسي، المطوى، المرجع السابق، ص 49.

[5] محمد سعيد عمران، المرجع السابق، ص 49.

* الكسيوس كومينين: وهو الإمبراطور البيزنطي بدأت حياته الحربية زمن الإمبراطور رومانوس وهو عمره الرابعة عشر، وهو الذي دعم الصلبيين، أنظر بطرس توديبود، المصدر السابق، ص 80.

المناطق التي فقدها، وسميت هذه معاهدة القسطنطينية، ومن هنا يمكن القول أن الإمبراطور الكسيوس كان بحاجة الصلبيين إليه، فحمل على انتحال هذه القوة والحاجة وحتى الحماية الدينية لصالح خمس إمبراطوريات وهكذا أسترجع مالك منها سابقا بأيدي الصليبين [1].

من خلال ما سبق تتضح لنا العوامل الحقيقة التي ساعدت الصلبيين على تثبيت أقدامهم في بلاد الشام ، هذا الى جانب النزاع القائم بين السلاجقة السنيين والفاطميين الشيعة الذي يعتبر السبب في أضاعف الجبهة الإسلامية أمام خطر الغزو الصليبي [2] ، وكذلك بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه عام 485هـ/ 1092م اندلعت الحرب الأهلية والصراع والتناقض بين افراد البيت السلجوقي [3].

هذا في الوقت الذي عبر الصليبيون مضيق البوسفور إلى أسيا الصغرى بعد أن قدموا الولاء والطاعة إلى الإمبراطور البيزنطي وكان أول هدف حدده الصليبيون هو الاستيلاء على نيقية عاصمة السلطة السلجوقية بانطوال [4].

---

[1] قاسم عبده قاسم،المرجع السابق، ص 22.

[2] إبن القلانسي، المصدر السابق، ص 200.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 482، 483، إبن العديم كمال الدين أبي القائم عمر ابن أحمد بن هبة الله، زبد الحلب في تاريخ حلب، ج2، ط1، تحقيق سهيل زكار، الكتاب العربي، دمشق، 1997، ص 470.

[4] ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ-1505م)، العبروديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر، تح: سهيل زكار، ج5، دط، دار الفكر،200م ص 205.

المبحث الرابع: تأسيس الإمارات الصليبية في بلاد الشام:

1. تأسيس إمارة الدها:

أ- حصار الرها:

بعد سقوط نيقية* عاصمة السلاجقة خلال الحملة الأولى في معركة الأناضول بعد ان توجه الصليبيون ومعهم الجيش البيزنطي لحصار أسوارها[1] ومهاجمة المدينة بعد توحيد أهدافهم من خلال تزويد الإمبراطورية البيزنطية بآلات الحصار [2] ، وبذلك عادت هذه المنطقة إلى الحكم البيزنطي سفي 6 مايو سنة 489هـ/ 1096م [3]، وهكذا كانت الرها* أول إمارة فرنجية صليبية أسسها بلدوين في الشرق[4] بعد اجتيازه بجيشه الحاجز الجبلي الضخم جبال في طورطوس* في مارس سنة 491هـ/ 1098م ، ومن جانب اخر لعب الأرمن دورا بارزا في تسهيل مهمة الليبيين بالاستيلاء على الرها للخلاص من الحكم السلجوقي [5].

---

* نيقية وهي عاصمة السلاجقة الروم خدمها قلج أرسلان زمن الحملة الصليبية الأولى، تقع على مسافة قريبة من خليج نيقوميديا وقد اشتهرت بحصانتها ومتانة أسوارها والبحيرة في جنوبها، ويرجع إنشاؤها إلى عام 316ق.د، أنظر جزويف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص22.

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص 162.

[2] مؤلف مجمول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر، حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958، ص 28،29.

[3] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص ص 51، 52.

* الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسد الذي أستحدثها وهو الرها بين البلدين بين مالك ابن دعر، وأغلب أهلها نصارى، وتوجد بها الكنيسة، أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 106.

[4] بلدوين: هو الأخ الأصغر لجودفري وربما كان أكثر ثقافة من وقد أسس امارة الرها الصليبية، أول إمارة في الشرق أنظر بطرس توديبود، المصدر السابق، ص 68.

* طرطرس: مدينة في بلاد الشام مشرقة على البحر المتوسط، بالقرب من مدينة اللاذقية، أنظر ياقوت الحموي المصدر السابق، ج4، ص 30.

[5] محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 78.

وفي الوقت الذي كان بلدوين البولوني مقيما في قلعة تل باسر* كان وضع توروس الأرمني يزداد سوءا ولا يجد أمنا على حياته لا سيما بعد انتشار خبر انتصارات بلدوين في المنطقة بين سكان الرها الذين نظروا إليه كفارس افرنجي قادم من أوروبا أسرع بلدوين إلى الرها بناء على الطلب حاكمهما الأرمني توروس هيتوم* الذي تبناه وولاه حكم المدينة [1] ، وحضي بلدوين بحفاوة كبيرة من قبل سكان الرها بعد وصوله اليها في ربيع الأول 491هـ/ شباط 1097م فتبناه ووارث الأرمني بحكم الرها [2] ، وبعد دخول بلدوين مدينة الرها أتفق مع بعض الأرمن على الغدر بتوديس، وقتله، ثم تزوج بلدوين، بامرأته وتسلم الحكم وذلك في شهر ربيع عام 491هـ/ تشرين الاول 1098م[3].

ولهذه الإمارة أهمية خاصة لكونها تمثل أحد المناطق نفوذا المسلمين وكانت كذلك هذه الامارة أكبر إمارة صليبية وأشدها خطرا على المسلمين [4] ، على الرغم ان هذه الإمارة الصليبية كانت أقصر عمرا فهي لم تدم سوى ستة وأربعين عاما قضتها في الصراع ضد المسلمين بسبب قوتها الحربية ومقدرتها العسكرية حتى استطاع عماد الدين زنكي استردادها سنة 539هـ/1144م [5].

وقد مر على حكم إمارة الرها العديد من الحكام نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- بلدوين البلولوني : سمي كذلك ببلدوين الأول وقد حكمها للسنوات 491-493هـ/1098-1100م.

---

* تل باشر: قلعة حصيتة وكورة واسعة في شمال حلب، وتبعد عنها بحدود 701 كم، وأهلها نصارى أرض ولها أسواق وهي عامرة أهلة ، أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 40.

* تورس بن هيتوم : أحد القادة الأرمن تولى حكم الرها في أيدى السلاجقة توفي سنة 491هـ/1098م وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، مصدر سابق، ص 219.

[1] وليم الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 265.

[2] فوشية الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، تر: زيد العسلي، دار الشروق، عمان، 1990، ص 107.

[3] محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 196.

[4] وليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص ص 271-275.

[5] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص ص 436-438.

- جوسلين الأول: وهو قريب بلدوين الثاني وقد حكمها للسنوت الممتدة 512-526هـ/1119-1131م[1].

- جوسلين الثاني: وهو ابن جوسلين الأول وقد كان أخرى حكام الصليبيين على مدينة الرها وحكمها للمدة بين 328-539هـ/1131-1144م [2].

2- تأسيس إمارة أنطاكية:

أ. حصار إنطاكية:

بدأ الصليبيون يمدون نفوذهم نحو بلاد الشام حتى وصلوا إلى أنطاكية*، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية قديما في دي القعدة سنة 490هـ /تشرين الأول 1097م، وفرضوا الحصار عليها بعد وصولهم اليها [3].

وحدد المؤرخ المجهول التاريخ الدقيق لوصولهم في اليوم الثاني عشر من تشرين الاول [4]، وكان الجيش الصليبي بقيادة بوهميذ وقد اشتد حماس الصليبين بعدما شاهدوا موقع مدينة أنطاكية المميز والتي احتلت سهلا يبلغ طوله نحو ثلاثة أميال وامتد نحو ميل إلى الداخل، وبين نهر الأورنت وجيل سيلبوين فضلا عن التحضيرات العسكرية الضخمة المنيعة ولا سيما الأسوار المتنوعة والمرتفعة التي أحاطت بالمدينة من أغلب الجهات.

وقد أحدث وصول الجيش الصليبي مشارف انطاكية خوفا كبيرا في قلوب الاهالي وذلك لكثرة اعدادهم حيث أشار ابن القلانسي قائلا "وصلت الاخبار بظهور عساكر الفرنج من

---

(1) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ص ص 66-86.

(2) المصدر نفسه، ص ص 87-102.

* أنطاكية: بلدة كبيرة يحيط بها وسور عظيم تحتوي على ثلاثمائة وستين برجا وأيضا لها خمسة أبواب وداخل هذه السور يوجد قلعة كبيرة موصوفة بالنزاهة وكثرة الفاكهة، أخضر البغدادي لطفي أسماء، الأمكنة والبقاع، تح، على محمد البجاوي، ج1، ط1، دار جبار للكتاب العربي، 1954م، ص ص 124، 197.

(3) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 197.

(4) مؤلف مجهول، أعمال المصدر السابق، ص 108.

بحر القسطنطينية في عالم لا يحصى عدده كثرت وتتابعت الانباء فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها.[3]

وبمجرد دخول الجيش الصليبي الى انطاكية في شهر ذو القعدة 490هـ/تشرين الأول 1097م[4] فرضوا حصارا شديدا عليها فتمركز روبرت تأمين فلاندر وروبرت أمير نورمنديا, وهبوا امير فرمندزوا, وستيفن, وكتبان أمير بلوا بين باب بولس وباب الكلب, واتخذت بوهيمند ورجاله النورمان مواقعهم في الجهة الشمالية للمدينة أي عند باب بولس في حين اشقر ريموند كونت تلولور والمندوب البابوي اوهيمار ومعهم الفرسان البروفنسال على مقربة من باب الكلب الى الجهة الغربية من المدينة.[5] وعسكر جودفراي البويني في الجهة الشمالية أي في واجهة باب الدوق وبذلك تم حصار المدينة ماعدا الجهة الشرقية فيم يكن هناك جيوش تحاصرها لأنها كانت محاطة بجبل شامخ.[6]

وعانى الصليبيون اثناء هذا الحصار التعب والبرد والجوع وفتكت بهم الامراض فمات الكثير منهم فضلا عن قلة المواد الغذائية وقلة الامدادات القادمة بحرا تأتي بصور مستمرة[7] ، وقد حاول المسلمين نجدة انطاكية وفك حصارها القاسي الذي دام ثمانية اشهر[1] ولكن دون جدوى من قبل الأمير رضوان حاكم حلب, كما حاول قبله دقاق أمير دمشق وجاءت نجدة من سلطان كيران السلجوقي ولكن بعد فوات الوقت.[2]

---

[3]ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص218.

[4]ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص348.

[5]محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 197.

[6] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص50.

[7]محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص30.

[1]محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص52.

[2]ابن القلانسي، تاريخ دمشق (360–555هـ/ 1088–1160م)، تح: سهيل زكار، ط 1، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1403هـ– 1983، ص 218.

ومما سهل على الصليبيين المهمة هو الخلافات بين باغي سيان ورضوان حول التبعية كرضوان الحلي او إلى دقاق الدمشقي مما سبب قيام حرب مستمرة بين الجانبين فضلا عن النزاعات بين الأخوين رضوان ودقاق حول السلطة ومناطق النفوذ.[7]

ب. سقوط إنطاكية:

ما ان دخل الصليبيين أنطاكية حتى أحلو بها فسادا وقاموا بقتل أعداد كبيرة من المسلمين رجالا ونساء واطفالا [1]،وفي المقابل وفد إليهم أهل المدينة من السريان والأرمن والمسيحيون المحليين يرحبون بهم ويساعدونهم في تعرف على خفايا المدينة فضلا عن مساهمتهم في قتل المسلمين المتواجدين في أنطاكية ، وقد حاول باغي سيان نفسه الفرار منه لكنه سقط عن فرسه فقتله الأرمن وحملوا رأسه إلى الصليبيين [2].

كان خبر سقوط أنطاكية في شهر جمادي الأول سنة 491هـ/1098م، قد اثار موجة من الذعر والخوف في البلدان الإسلامية بسبب ما حدث لسكانها[3]، وانتصب بوهيموند النرماني أمير عليها[4] وقد استمرت هذه الإمارات قائمة إلى سنة 667هـ/1268م [5]

3- تأسيس بيت المقدس:

أ- حصار بيت المقدس:

بعد أن تمكن الصليبيين من احتلال أنطاكية طالبوا قادتهم التوجه فورا نحو بيت المقدس الذي كان الهدف الرئيسي المعلن للحملة الصليبية والذين ترك الاوروبيين أوطانهم [6].

---

[7]سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، المرجع السابق، ص 142.

[1]ابن الأنبر، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج9، ص 15.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج6، ص 85.

[3] عماد الدين إسماعيل، ابن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ج16، تج، عبد الله بن المحسن التولي، 1998م، ص 154، ص165.

[4] محمد العروبي، المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، المرجع السابق، ص 52.

[5] المرجع نفسه، ص 57.

[6] وليم الصوري، المصدر السابق،ج2، ص 20.

توجه الصليبيون نحو بيت المقدس في شهر كانون الاول 1099م وفي منتصف كانون الثاني وصلوا إليها وفرضوا عليها الحصار[1]، بعد أن ظلت الجيوش الصليبية قرابة خمسة عشر شهرا في شمال[2] الشام واستولوا في طريقهم على مدينة معرة النعمان*، وذلك من أجل تأمين الجناح الأيسر حيث يسير الجيش صوب الجنوب إلى فلسطين وبعد أن استولوا على مدينة البارة وصلوا إلى أسوار مدينة المعرة التابعة لحكم حلب رضوان[3]، قال ابن القلانسي أن الفرنج زحفوا إلى أسوار المغرة في الناحية الشرقية والشمالية[4] وهرب سكانها من بطش الصليبيين في 14 محرم 492هـ/11 كانون الاول 1098م، وذكر المؤرخ ابن الاثير أنه قتل بالمعزة مئة ألف مسلم مما يدل على وحشية والحقد الدفين ضد المسلمين [5].

ثم توجه الجيش الصليبي لاحتلال مدينة عرفة* في طريقهم نحو بين المقدس، ثم أتجه الصليبيون بعد ذلك نحو صيدا فبلغوها في 20 حزيران 1099م ولكنهم لغوا مقاومة عنيفة في حمايتها أنهم استطاعوا التغلب عليهم وتابعوا تقدمهم إلى أن وصلوا إلى ضواحيها عما في 24 حزيران دون أن يدخلوا في صراع ضد المسلمين حتى وصلوا نحو مدينة الرملة في 3 جوان 1099م، الذي هرب منها سكانها خوف من ارهاب الصلبيين ، وبعد استيلاء الصلبين على الرملة* "هي إحدى مدن فلسطين، شيدها الخليفة سليمان ابن عبد الملك وسميت بهذا الاسم لغلبة الرمل عليها، وتبعد اكثر من 20 كم غربي مدينة القدس". قرروا

---

[1] محمد سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص 52-54.

[2] سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق ، ص 175.

*معزة النعمان: مدينة كبيرة ومشهورة، سميت نسبة إلى الصحابي الجليل النعمان بن بشير رضي الله عنه، وهي من أعمال حسن بين حلب وحسان، ويوجد بها الزيتون بكثرة، أنظر ياقوت الحمودي، معجم البلدان، ج5، ص 136.

[3] ابن الخلدون، المصدر السابق، ج5، ص 21.

[4] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص 223.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 280.

* عرفة: بلدة، في شرقي طرابلس لها قلعة صغيرة وهي أعمال دمشق وبين عرفة وطرابلس تليومترين، وهي على سفح جبل وتبعد على شاطني بنتسلتر واحد، أنظر أبو الفداد، تقويم البلدان، ص 255.

* الرملة: هي إحدى مدن فلسطين، شيدها الخليفة سليمان ابن عبد الملك وسميت بهذا الاسم لغلبة الرمل عليها، وتبعد 20كم غربي مدينة القدس، أنظر أحمد القلقشندي، المصدر السابق، ص 66.

الزحف إلى بيت المقدس [1] ، وكان عدد قوات الصليبية نحو أربعين ألفا من كلا الجنسين وبمختلف الأعمار والصفوف من المشاة عشرون ألف رجل ومن الفرسان ألف وخمسمائة مقاتل [2].

شرع قادة الجيش الصلبي في حصار المدينة من الجهة الشمالية[3] بقيادة روبرت النورمندي ، أما الجهة الغربية فحصارها جود فري وتنكريد [4] ، وشرعوا بهدم سورها بمختلف آلات الحصار لكنهم واجهوا مشكلة النقص العددي لقواتهم فلم يستطيعوا الاستيلاء عليها فضلا عن صعوبات أخرى تمثلت بتسميم آبار المياه وقلة الاسلحة لتسلق الأسوار في جهات عديدة في آن واحد، لذلك قرروا الانسحاب عنها حتى وصول الدعم الكافي لاقتحامها [5].

وفي يوم 15 حزيران 1099م وبعد أسبوع الحصار وصلت ميناء يافا بعض السفن الجنوبية تحمل المئونة والاقوات والاسلحة والجنود واستطاعت هذه السفن أن تسيطر على ميناء يافا بسهولة لأن السكان هجروها بعد معرفة أن الصليبين اقتربوا من مدينة أرسوف الساحلية [6].

ب- سقوط بيت المقدس:

اشتد الحصار الصليبي على بيت المقدس مدة طويلة دامت اكثر من شهر ونصف[7] (أنظر: الملحق رقم 04، ص 122) وظنوا أن المقاومة انهارت فأمر القادة الصليبيون بناء سلالم خشبية استخدموها لارتقاء سور المدينة والدخول عبرها لكن هذه المحاولة باءت بالفشل مما اضطرهم إلى تغيير الخطة وذلك عن طريق بناء برجين متحركين من خشب نصبا على سور المدينة أحدها بباب صهيون والأخر بباب العهود فأحرق المسلمون البرج

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات، المرجع السابق، ص 192.

[2] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 144.

[3] وليام الصورى، تاريخ الحروب الصلبية، المرجع السابق، ج2، ص 94.

[4] بطرس تودبيود، المصدر السابق، ص 313.

[5] ستيفن رنسيمان، المصدر السابق، ج1، ص 429.

[6] مؤلف المجهول، أعمال الفرنجية وحجاج بين المقدس، ص ص 278،279.

[7] مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 118.

وقتلوا من فيه، أما الأخر فزحفوا به حتى وصلوا إلى سور المدينة أخذوا يشنون هجوما شاملا عليها من جهة شمال ليلة 20 492هـ/ 14 حزيران 1099م [1] استطاعوا في اليوم التالي اقتحام المدينة لتسقط بأيديهم على الرغم من استبسالهم بالدفاع عنها [2] ، وهكذا دخلها الصليبيون واندفعوا في جماعية لأهلها دون تفرقة بين أعمارهم وجنسهم حتى أنهم ارتكبوا مجزرة وحشية بالمسجد الأقصى بعد أن التجأ إليه المسلمين، ولم يستطع مؤرخيهم تجاهلهم. [3]

وهكذا دخلها الصليبيون، أما حاكمها إبن عمار فلجأ الى طلب المساعدة بخروجه إلى بغداد سنة 501هـ/1107م من الخليفة العباسي المستطرف والسلطان السلجوقي محمد بن ملكساة وعين ابنه شمس الدين نائبا عنه،[4] ليتفاجأ بعد مدة بضياع الإمارة منه واخيرا دخل الصليبيون إلى طرابلس سنة 502هـ/1109م وقتلوا معظم رجالها[5] وأكمل الصليبيون احتلال بقية مدن إمارة طرابلس فاستولوا على بانياس وجبله وحص الأكراد[6] وبدأت إمارة طرابلس في النمو وصار تاريخها مرتبطا بتاريخ إمارة أنطاكية من جهة وتاريخ بيت المقدس من جهة أخرى. [7]

نجح الصليبيون خلال الحملة الأولى في تحقيق أهدافهم واستطاعوا إقامة مملكة لهم في القدس وثلاث إمارت : الرها، انطاكية وطرابلس، وهذا يعود إلى ضعف الخلافة الفاطمية والعباسية مع العداء المذهبي وكذلك ضعت المقاومة العربية الإسلامية حيث استفاد الصليبيون من التفكك وحققوا نجاحا مؤقتا.

---

[1] ابن الأثير، الكامل، ج5، المصدر السابقص ص 19-20.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 148.

[3] يوسع براون، الاستطان الصليبي ، ص 30.

[4] ابن القلانسي، ذيل التاريخ، ص 160.

[5] ابن الأثير، الكامل ، ج8، ص 534.

[6] حصن الاكراد : وهي أهم معتقل العسكرية في امارة طرابلس الصليبية وتبعد بحدود (62 كم) شمال شرق مدينة طرابلس، ينظر مصعب الحميدي الزيادي، الصليبيون في بلاد الشام، دار النهضة العربية، بيروت، 2013م، ص103-104.

[7] سعيد عاشور، الحركة الصلبية، المرجع السابق، ص 298.

أما المؤرخين المسلمين فقد قتلوه في هذه المذبحة، قال ابن تغري بردي[1] : فهجموا عليهم وسبوا النساء ، وقال ابن الأثير[2] : وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد عن سبعين ألف منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ، ويعتبر امتلاكها نهاية وخاتمة لملحمة الحملة الصليبية الأولى، وبلغ الصلبين هدف المعلن وهو تحرير القبر المقدس من يد المسلمين وأصبح للمسلمين عاصمة وتأسيس الممثلة في بيت المقدس. [3]

2. تأسيس إمارة طرابلس:

أ. حصار على طرابلس:

بعد أن سيطر الجيش الصليبي على بيت المقدس توجه لحصار طرابلس[4] بقيادة ريموند المنجيلي[5] ، حيث تمكن من إخضاع عدة مدن قبل شروعه في فرض الحصار على المدينة ، فاستولى على طرسوس في 490هـ واتخذها قاعدة عسكرية مؤقتة ، ثم استولى على مدينة جبلة الواقعة شمال غرب بلاد الشام وبالضبط جنوب مدينة اللاذقية 499هـ/1105م وبمساعدة الجنوبيين[6] ، وشرع في تشيد قلعة ضخمة لمواجهة المسلمين واكتمل بناؤها وسماها "جبل الحاج" وعند العرب قلعة صنجيل تكون مقرا لحكمه سنة 1104م[7] ، وبعد مضي عام قام ابن عمار بحرق هذا الحصن حيث أصيب ريموند بجروح واشتد به المرض الذي أدي لوفاته في 28 شباط 1105م دون أن يحقق هدفه في استيلاء على طرابلس. [8]

---

[1]- ابن تغري بردي جمال الدين أبو محسن يوسف، النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: إبراهيم طرحان، ج5، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، 1956، ص 149.

[2] ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق ج9، ص 19.

[3] يوشع براور، المرجع السابق، ص 30.

[4] طرابلس، مدينة تقع على شاطئ البحر المتوسط وتميزت بسورها الصخري القوى البنيان وقد وجد في بساتينها في القوامة مالا يوجد في سائر الأقاليم أنظر، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل، تقويم البلدان، تحق، مالك كوكين ديسلان، باريس، 1850م، ص 250.

[5] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 450.

[6] سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص 348.

[7] وليم الصوري، المصدر السابق، ص ص 244-260.

[8] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 147، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج5، ص 186.

ت. سقوط طرابلس:

دام الحصار الصليبي على طرابلس مدة ست سنوات بقيادة وليم جوردان ونائبه ريموند الذان بذلا قصارى جهدهما من اجل الاستيلاء على طرابلس[1] ، وشهدت فترة الحصار مناوشات فعلية بين الجانبين الصليبي والإسلامي وكانت نتيجته اضطراب أوضاع سكان المدينة وغلاء أسعار السلع فهجرها أهلها و كثر فيها الفقر وافتقر فيها الأغنياء[2] ، وإزاء هذا الموقف العصيب استنجد حاكمها ابن عمار بالأمير سفيان بن أرتق التركماني لمساعدته ، و شاءت الأقدار أن يتوفى وهو في طريقه لنجدة طرابلس فرجع به جنده إلى الحصن ليفقد بذلك ابن عمار آخر أمل لنجدة الإمارة. [3]

بعد وفاته واصل ابن خالته وليم جورادن المهمة[4] وما أن تم الاستلاء على المدينة حتى أضيفت عرقة إلى رقعة الامارات الجديدة في الوقت الذي بدأ برتراند الابن الأكبر لريموند يطالب بوراثة أبيه في الأراضي الشرقية ، فتعقد الموقف بينهما فأستنجد الاثنين منهم بالقادة الصليبيين ، وتمكن بلدوين الأول من اقامة الصلح بينهما حيث أعطى[5] وليم جورادن عرقة وطرطوس ، في حين أخذ برتراند قلعة صنجيل او جبيل في طرابلس عندما تم السيطرة عليها. [6]

وصادف أن توفي وليم جوردان مما جعل برتراند ينفرد في حكم إمارة طرابلس وواصل السياسة القائمة على التحالف مع بيزنطة. [7] (أنظر الملحق رقم 5، ص 123)

---

[1] رنسيمان، تاريخ، ج2، ص 102.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 96.

[3] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ص 146،147.

[4] وليم الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 520.

[5] نفسه، ص 521.

[6] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 261.

[7] فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص 135.

الفصل الثاني: أثر الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام على الحياة الاجتماعية خلال قرن 5 و6هـ/ 11 و12م

المبحث الأول: أثر الحروب الصليبية على التركيبة السكانية في المجتمع الشامي

1. أثر الحروب الصليبية على التركيبة السكانية في بلاد الشام

المبحث الثاني: أثر الحروب الصلبية على العادات وتقاليد المجتمع الشامي

المبحث الثالث: الاستيطان الصليبي وخطر تهجير العنصر المسلم

المطلب الأول: سياسة الاستيطان الصليبي

المطلب الثاني: العناصر الأساسية للاستيطان الصليبي

المطلب الثالث: أهداف الاستيطان الصليبي

المطلب الرابع: أثر الاستيطان الصليبي على المعالم الدينية في بلاد الشام

المبحث الرابع: العلاقات الاجتماعية بين المعلمين والصلبين

المطلب الأول: التفاعل الاجتماعي بين المسلمين والصليبين

المبحث الأول: أثر الحروب الصليبية على التركيبة السكانية في المجتمع الشامي.

أثبتت الأحداث التاريخية في المرحلة الأولى من المواجهة بين العرب والصليبيين أن الخلافة العباسية والفاطمية لم تكونا نموذجًا مثاليًا لقيادة الأمة العربية الإسلامية في مواجهة الصليبيين، فرضت الأحداث التاريخية الأسلوب العسكري للبلاد كخيار مناسب بشرط أن يتحد ضد الصليبيين[1].

استمر نور الدين محمود في تأييد التوجهات العسكرية لدولته سعياً لتوحيد الجهود الإسلامية في مواجهة الصليبيين، وكان دخوله الناجح إلى دمشق عام 549هـ/1154م علامة فارقة في الحفاظ على نموذج الدولة العسكرية الذي أسسه والده، وقد أثبت هذا النموذج فعاليته في الضغط على الصليبيين في الشمال، مما دفعهم إلى تحويل تركيزهم نحو الخلافة الفاطمية الضعيفة في الجنوب، لاسيما أن الصراع بين الصليبيين بقيادة أمالريك الأول ، والمسلمين بقيادة نور الدين محمود (الذي أرسل جيشا بقيادة أسد الدين شركوه وصلاح الدين الأيوبي) ، كان سباقا للاستيلاء على مصر بعد أن تلاشت الخلافة الفاطمية وترسيخ نموذج الدولة العسكرية بقيادة ملك محارب لدولة موحدة تضم حواضر المدن الإسلامية القاهرة ودمشق وحلب والموصل[2].

1- أثر الحروب الصليبية على التركيبة السكانية في بلاد الشام:

كان تأثير الحروب الصليبية أكثر حدة في بلاد الشام مقارنة بالمناطق العربية الأخرى، لا سيما من حيث التداعيات الاجتماعية، حيث استمر الاستيطان الصليبي في هذه المنطقة لما يقرب من مائتي عام، وخلال هذه الفترة أصيب النسيج الاجتماعي و تعطلت بشكل كبير القيم الانسانية و النظام الأخلاقي ، و عند النظر في طبيعة التركيبة السكانية المشرقية قبل

---

(1) قبل قيام دولة عماد الدين زنكي كانت ثمة محاولات سلجوقية لتوحيد الجهود ضد الفرنج أخطرها ما قام به مودود أمير الموصل في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بيد أن اغتياله سنة 507 هـ / 113م أوقف هذه الجهود. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 266 ؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 187-188.

(2) نفسه، ص280.

الحروب الصليبية، يجب أن نؤكد على وجود ميزتين أساسيتين: الطبيعة المتنوعة للبنية السكانية، صعوبة تحليل هذه التنوع [1].

عندما جاءت جيوش الحملة الصليبية الأولى كانت التركيبة السكانية في بلاد الشام تضم عناصر متنوعة : عربية، وتركية، وكردية، وسريانية، فضلا عن الأرمن والبيزنطيين، وبينما كانت العناصر العربية تشكل أغلبية السكان كانت عناصر الأتراك السلاجقة والتركمان تمثل العنصر الأكثر أهمية بعد العرب ، وقد زادت أهميتهم بفضل نشاطهم العسكري و النجاح الذي حققوه في حكمهم للإمارات بلاد الشام قبيل وأثناء الحروب الصليبية[2] ، أما الأكراد فقد كانوا موجودين في المنطقة قبل قدوم الصليبيين حقا، ولكن أهميتهم الاجتماعية زادت بعد أن صاروا يشكلون أغلبية جيش الناصر صلاح الدين الأيوبي، مما أدى إلى احتدام العلاقات بينهم وبين التركمان [3] ، كذلك يمثل الدروز أحد أهم العناصر السكانية في بلاد الشام، وعلى الرغم من مشاركتهم في الحرب ضد الصليبيين إلا أنهم عاشوا حياة أقرب إلى العزلة والانغلاق. [4]

وقد تحدث المؤرخون الصليبين والرحالة الذين زاروا بلاد الشام زمن الحروب الصليبية عن مدى تعدد أجناس السكان في هذه البلاد، وكان أول من تنبه إلى هذه الحقيقة هو فوشيه الشارتري الذي رافق الجيش الفرنسي في الحملة الصليبية الأولى، و كان شاهدا على تجربة الاستيطان الصليبي في فلسطين بعد نجاح الصليبيين في الاستيطان ببلاد الشام، حيث ذكر أن فئات المجتمع الشامي تشكل فسيفساء من العرب والأتراك والأحباش واليونان والسريان، وتحدث عن مستوطنين فرنسيين، وإنجليز، وإيطاليين، [5]

ذكر ويلبراند سنة 609هـ/ 1212 م أن : مدينة إنطاكية " ... بها سكان كثيرون أغنياء، الفرنج و السريان و اليونان واليهود، والأرمن والمسلمون... "وبعد ذلك بسنوات قليلة كتب

---

[1] مصعب حمادي الزيادي، الاستيطان الأوربي في بلاد الشام، د ط، دار النهضة العربية، بيروت:2023م، ص18.
[2] راجع الفصل الأول عن السلاجقة
[3] أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، دط، القاهرة، 1977، ص 55.
[4] قاسم عبدو قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 165،164.
[5] فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص 143-149.

ثيتمار عن السكان اليونان، واليعاقبة و الجورجيين والأرمن والنساطرة ، واليهود والسامرة، والصدوقيين، والحشاشين "، والمسلمين والسوريان واليونان والأرمن والجورجيين، والمساطرة، واليعاقبة، والميديين، والفرس، والأحباش، والمصريين ... وغيرهم كثيرين من الصليبيين ، وذكر أن سكان بيت المقدس كانوا يتحدثون لغات مختلفة، ويعتنقون ديانات مختلفة، ومذاهب شتى[1] .

يتضح من الفقرة السابقة أن تنوع عناصر السكان كان يوازيه تنوع آخر في دياناتهم ومذاهبهم ، فعندما جاء الصليبيون جاءت معهم عناصر جديدة زادت من تنوع الفسيفساء السكانية في بلاد الشام وأصبحت في حالة من الحركية وعدم الاستقرار ، إذ أن المذابح الصليبية، والتهجير الجماعي والاستيطان، وإعادة التوطين، فضلا عن تبادل السيادة على بعض مناطق الحضر والريف بين المسلمين والصليبيين خلال الصراع الطويل كل ذلك أدى إلى حال من السيولة السكانية ربما لم تعرف مثله أي منطقة أخرى. فقد تحولت أقليات إلى أغلبيات في بعض المناطق، كما أن بعض المناطق الأخرى شهدت تحول السكان عن دياناتهم ، وقد صاحبت الهجمات حالات كثيرة تحول فيها السكان إلى عبيد يباعون ويشترون على حين بقى عدد منهم للقيام بواجبات الخدمة في مدن العدو[2].

كان عدد سكان بلاد الشام وقت الحروب الصليبية يتراوح بين 2 و 7 ملايين حسب تقديرات بعض الباحثين وهذا الرقم الذي توصل إليه الباحثون اعتمد على أدلة استقرائية وتحليلية ولم يعتمد على إحصائيات دقيقة لعدم توفرها، ويبدو ان الأمر معقولًا ، نظرًا لحقيقة أن بلاد الشام كانت في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، أي بعد قرن كامل من الحملة الأولى ، قد فقدت الكثير من سكانها بسبب المجزرة الصليبية الشهيرة في القدس، ونتيجة الهجمات الاستردادية الإسلامية، والهجرات الإجبارية التي تصحب الاستيلاء على كل مدينة.[3]

---

[1] قاسم عبدو قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 166.

[2] نفسه، ص 167.

[3] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 136-137.

بقي عدد قليل جدًا من الصليبيين في فلسطين بعد الحملة الأولى، اذ لم يكون من الممكن أبدًا تعويض النقص السكاني في المستوطنات الصليبية بأعداد من أوروبا ، لأن الأعداد في أوروبا كانت تتضاءل باستمرار ،[1] كما أن مدنا كثيرة تعرضت للتخريب من جانب المسلمين أو الصليبيين مثل حمص وبعلبك، وحماة وعسقلان وقنسرين، والرملة ، وطبرية التي دمرها صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م حتى لا يفيد الصليبيون من تحصيناتها إذا نجحوا في استردادها ، وفي وسعنا أن نسوق عشرات الأمثلة من المصادر العربية واللاتينية عن تأثير العمليات العسكرية في البنية الديموغرافية لمدن بلاد الشام[2].

قد يكون من الصعب تقدير المساحة المأهولة بالسكان في بلاد الشام في وقت الحروب الصليبية ، لكن معظم سكان البلاد في ذلك الوقت كانوا خارج أسوار المدينة ، منتشرين في قرى كثيرة[3] أغلبهم من المزارعين والبدو الرحل ، وعلى الرغم من أن البدو غالبًا ما كانوا يشاركون في المعارك ، نظرًا لوقوعهم على أطراف الصراع ومناطق القتال ، إلاّ انهم لم يتأثروا كثيرًا بالصليبيين، فقد كانوا دائمًا هدفا سهلا للحملات الصليبية من قبل المستوطنين المحليين أو الصليبيين من أوروبا، أما الغالبية العظمى من الفلاحين فضلت مرتبطة بالحقول والقرى، و بعد فترة من العداء الصامت تجاه الجانبين و المتمثل في رفض الفلاحين العمل في أرضهم التي لا يستفيد منها الصليبيون ، حدث تعايش قسري بين الطرفين.[4]

ومن ناحية أخرى، فإن ما جرى من معارك بينهما طوال قرنين من الزمان قد جاء في معظم الأحوال ليزيد من معاناة الفلاحين في معظم الحالات، على عكس المدن التي كانت دائمًا بها أسوار وحصون وقلاع وتحصينات دفاعية قوية لأن طبيعة الريف المكشوف جعلته عرضة لأي هجوم عسكري بسهولة تامة ، وكان من أسباب السيولة السكانية أيضا عمليات

---

[1] وليم الصوري، المصدر السابق، ص 148.

[2] أبن شداد، النوادر السلطانية، ص 235،236، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ج 1، ص 106-107.

[3] ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص 136-141؛ ابن الأثير الكامل، المصدر السابق، ج 9، ص 86.

[4] ابن جبير، رحلة ، ص 273-274

التفريغ السكانية والإحلال السكاني، أي زرع مستوطنين جدد محل السكان الأصليين. فعندما تمكن الصليبيون من الاستيلاء على مدينة القدس سنة492هـ/ 1099م أخرجوا منها المسلمين واليهود الذين راحوا ضحية مذبحة مروعة، وعندما تملك الفرنج المدينة كانت خاوية تقريبا، ولم تكن أعداد الفرنج تكفي لملء شارع واحد على حد قول وليم الصوري عندما تولى بلدوين حكم مملكة ببت المقدس الصليبية[1].

حرم الصليبيون منذ البداية على المسلمين واليهود دخول المدينة، و سارعوا بعد أن خفت شهوة القتل في نفوسهم إلى وضع أياديهم على منازل أهل القدس الذين حصدتهم المذبحة الرهيبة،[2] كما تم نقل سكان القرى المسيحية للسكن في المدينة التي كانت بحاجة إلى سكان يملئون فراغها الموحش، وكان ما حدث في المدينة المقدسة مثالا لما حدث في سائر المدن التي استولى عليها الصليبيين، بيد أن المسلمين الذين هجروا المدن الشامية والفلسطينية التي احتلها الصليبيون لم يلبثوا أن عادوا لسكن مدنهم والإقامة فيها نتيجة الاستقرار ونمو الإمكانات الاقتصادية في مدن الساحل على نحو خاص، ولكن المصادر التاريخية لا تمدنا بأي معلومات عن أعداد أولئك العائدين، أو نسبتهم العامة مقارنة بسكان المدن التي حكمها الصليبيون وأقاموا فيها[3].

عاش سكان الشام الأصليون في المدن والريف والصحراء سواء في القطاع الإسلامي أو القطاع الصليبي، ولكن ما يلفت النظر هو أن نسبة المسلمين منهم كانت قليلة في المدن الصليبية الكبيرة، في حين تزايدت أعدادهم في المراكز العمرانية الصغيرة، وكان المسلمون في المناطق الصليبية يعانون من انخفاض الضرائب الإضافية، ومن التعاسة التي تسببها تسميتهم «الكفار» في بعض الأحيان وهذا يعود إلى العداوة مع المحتل الصليبي، وفي الجانب الإسلامي كان يعيش عدد من الصليبيين في حال متدنية في المناطق التي حررها المسلمون طوال تلك المواجهة ، ويمكن أن نشير إلى حقيقة أن القضاء على مملكة

(1) وليام الصوري، المصدر السابق، ص 508.
(2) فوشيه، المصدر السابق، ص 132.
(3) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق، ص 169.

الصليبيين، وإماراتهم الأخرى في نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، لم يكن يعني على الإطلاق أن جميع الفرنج قد رحلوا عن بلاد الشام، فقد رحل القادة والفرسان والقادرون على الرحيل، في حين بقى عامة الصليبيين الذين اعتنق بعضهم الإسلام، وبقى البعض الآخر على دينه، ودخل في التركيبة الفسيفسائية للبنية السكانية في بلاد الشام، أما المسيحيون الذين عاشوا في المناطق الصليبية فإنهم لم يلقوا معاملة حسنة من الصليبيين الذين اعتبروهم منشقين وخارجين على الدين المسيحي ، كذلك فإن الصليبيين لم يقيموا أي علاقة ودية مع أي طائفة مسيحية باستثناء الموارنة في لبنان لأنهم من أبناء جنسهم والأقرب لعقيدتهم ومذهبهم الكاثوليكي.[1]

استمرت المعارك وتناوب المنتصرون وكان هناك دائمًا العديد من الأسرى على الجانبين تحول بعضهم إلى عبيد وبيعوا كعبيد ، بينما استمر آخرون ، رجالاً ونساءً ، في أداء وظائف وضيعة أثناء وجودهم في الأسر والأرجح أن هذه الأعداد الكبيرة من السجناء ، لا سيما أولئك الذين يُباعون في أسواق العبيد ، كانت تدخل التركيبة السكانية لبلاد الشام وتزيد من تنوعها وثروتها. أثر هذا على الخصائص الجسدية لسكان بلاد الشام ، حيث أدى التزاوج والاندماج إلى محو أجيال من الاختلافات العرقية[2].

كانت النتيجة الأولى لوجود الصليبيين والقتال ضدهم هي تنقل سكان بلاد الشام ، فعندما عاد الناس من المدن التي استولى عليها الصليبيون ، لم يعودوا جميعًا كما لم تعد التركيبة السكانية إلى ما كانت عليه من قبل ، لأنه كان من الضروري توفير السكان الأصليين المحليين للمستوطنين الفرنجة ، وقد تسببت هجرة أعداد من الصليبيين من أوروبا إلى عدم توازن دائم وتدفق مستمر للسكان ، ومن ناحية أخرى كانت الهجرة من بلاد الشام صوب مصر سببا في زيادة عدد السكان ، مثلما حدث أثناء الصراع بين جيوش أسد الدين شيركوه وجيوش الصليبيين بقيادة أماليك الأول ، ومثلما حدث لأهالي دمياط والمناطق

---

[1] وليم الصوري، المصدر السابق، ص 507.

[2] أسامة بن منقذ مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة ابن مرشد ابن علي،(ت 584هـ/1188م)، الاعتبار، تح: فيليب حتي، دار مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1930، ، ص 153،154.

المجاورة أثناء أحداث الحملة الصليبية السابعة، بيد أن عدم نجاح الصليبيين في احتلال الأرض المصرية لمدة طويلة، مثلما حدث في بلاد الشام، جعل التأثيرات السلبية في البنية السكانية محدودة للغاية، وعندما تولى سلاطين المماليك حكم مصر والشام صارت مصر هي المعقل الأخير الآمن للحضارة العربية والإسلامية وبينما كان الصراع ضد الصليبيين في بلاد الشام يمر بأطواره الأخيرة لصالح المسلمين دفعت الغزوات التترية بالكثيرين من أهل العراق والشام إلى مصر، كما أن هجوم الكاثوليك على مسلمي الأندلس دفع بالكثيرين إلى مصر. فإذا أضفنا إلى ذلك عدد من هاجروا طوال قرن ونصف قرن قبل تولي المماليك الحكم من فلسطين وشمال الشام تحت وطأة الحروب الصليبية أدركنا مدى تزايد معدل النمو السكاني في مصر في تلك الأثناء، ومن المهم أيضا أن نشير إلى أن أولئك المهجرين قد عوضوا النقص الفادح في أعداد السكان نتيجة المجاعة الكبرى التي عرفت باسم «الشدة المستنصرية في عهد الخليفة «المستنصر» الفاطمي[1].

من الناحية الاجتماعية، كان لأحداث الحروب الصليبية تأثير سلبي على الحياة اليومية في بلاد الشام فمنذ انتصار الصليبيين في نهاية القرن 5 هـ/ 11م وتأسيس مملكة القدس والإمارات الصليبية الثلاث أنطاكية والرها وطرابلس، اندلعت صراعات وحروب بين المسلمين والصليبيين، وبين السنة والشيعة، وبين الأمراء في المدن وفي الريف والصحاري والجبال، وبين الأسرة الحاكمة ووزرائها القاطحين وعامة الناس، ومعظمهم من العرب، والجنود والمغتربين، ومعظمهم من السلاجقة والتركمان، والأتراك والأكراد[2].

كانت هذه النازعات والصراعات المسلحة مصدر اضطراب أمني وخلل اجتماعي خطير، إذ كان أحدها يكفي لتعكير صفو الحياة اليومية والإضرار بالصالح العام للمجتمع، بيد أنها تجمعت لتنشر مظاهر انعدام الأمن وحدة الخروج على القانون بشكل متصاعد، وبروز اللصوصية، وقطع الطريق، والسطو المسلح، ويشير أسامة بن منقذ في مذكراته إلى وجود

---

[1] المقريزي تقي الدين أحمد ابن علي (ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، تحق: محمد زينهم وميحة الشرقاوي، ج 3، ط 1، دار مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997م، ص 73.
[2] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 169.

عصابات لقطع الطريق في تخوم بعلبك، وشيزر، ونابلس، ولم تكن تلك هي المناطق الوحيدة التي راحت نهبا لعبث مثل تلك العصابات بطبيعة الحال[1].

وعلى الرغم من ذلك فإن الحياة استمرت في سيرها ولم تتوقف وعادت لتزدهر مرة أخرى في بعض المناطق التي حررتها جيوش صلاح الدين، بيد أن بعض المناطق التي دمرها لاعتبارات أمنية عسكرية، مثل عسقلان[2] خربت بعد أن كانت من المراكز الحضرية المزدهرة، بحيث بكى الناس وأسفوا عليها ، كما ازدهرت الحياة في المناطق التي كانت بعيدة عن خطوط الحرب التقليدية، فثلما كانت المنطقة منطقة حرب كان التدهور السكاني والاجتماعي واضحا، والعكس صحيح تماما ، إذ إن بعض المناطق شهدت نوعا من التعايش السلمي، بسبب الازمات الاقتصادية، مثلما حدث في بانياس، عندما اقتسم أهل دمشق والصليبيون، المناطق الزراعية، ومثلما كانت الضرورة الاقتصادية تسمح بالحفاظ، على أمن طرق التجارة وقوافلها في عكا. هذه المناطق عاشت قدرا من الازدهار النسبي بيد أنه لم يلبث أن تدهور في ظل الحركة الاستردادية التي قادها صلاح الدين الأيوبي، وأحداث الحملة الصليبية الثالثة[3].

---

(1) أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص 55.

(2) مصعب حمادي الزيادي، عسقلان والحروب الصليبية، د ط، دار المعتز، عمان 2019م، ص 75.

(3) ابن جبير، المصدر السابق، ص 276 .

المبحث الثاني: أثر الحروب الصلبية على العادات وتقاليد المجتمع الشامي.

كانت الزيجات في المجتمع الصليبي مختلطة الاجناس، لا سيما في بلاد الشام، حيث كانت النساء الأرمن والبيزنطيات يشاركن في كثير من الأحيان وقد كان هذا الاتجاه شائعًا بشكل خاص بين الطبقات العليا من نبلاء الفرنجة، ولم يكن من غير المألوف أن يكون للصليبيين أم أو جدة أو عمة مسيحية شرقية، كان هذا صحيحًا بالنسبة للأسر المالكة ومساكن الأمراء الصليبيين، وقد بدا الخدم الشرقيون سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين بمرافقة هذه الزيجات، وتضخم عددهم في منازل الأثرياء الفرنجة. فضلا أن الأطفال من الطبقات الدنيا من المجتمع الصليبي، مثل الفرسان الصغار أو سكان المدن، عادة ما يتزوجون من مسيحيين شرقيين من نفس المكانة الاجتماعية.[1]

وهو عكس ما كان منتشرا في بلاد الشام والعالم الإسلامي عموما، فقد كان الرجل الشرقي الراغب في الزواج هو من يدفع المهر الذي تشترطه العروس باعتبار أن القوامة للرجال غير أن الصليبيين قد نقلوا إلى مجتمعهم الصليبي العادات والتقاليد الغربية منذ أول وهلة من استقرارهم في بلاد الشام وبات بذلك قدر المهر الذي تدفعه العروس وأهلها من قدرها ويعبر عن مكانتها في المجتمع[2].

عاش المجتمع الصليبي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في بلاد الشام احتفالات زواج جديدة وغير تقليدية، لم تكن هذه الطقوس غير المألوفة نموذجية في المجتمع الشرقي، مما أدى إلى انتقادات من المسحيين والإسلام. لقد اعتبروا هذه الممارسات بمثابة خرق للشريعة وخروجا عن التعاليم الإلهية. [3]

وقد وصف الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي حضر حفلاً في مدينة صور عادة الصليبيين في مثل هذه المناسبات قائلاً: "اصطف الرجال والنساء في صفين عند باب العروس،

[1] يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة وتعليق وتقديمَ: قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1. 1999. ص107.

[2] عبد اللطيف عبد الهادي السيد ، المرجع السابق. ص260.

[3] حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون. ص161.

والأبواق والمزامير وجميع الآلات كانت تضرب حتى خرجت تترنح بين رجلين يمسكانها يمينًا ويسارًا كما لو كانت رحمها. مثل ، وكانت ترتدي أروع ملابسها ، وأكثرها فخرًا ، مع ذيول من الحرير المذهّب تشد ثيابها المعتادة ، وشريطًا ذهبيًا على رأسها ، محاطًا بشبكة ذهبية منسوجة ، قبلهم كان المسيحيون العظماء ، يرتدون ملابسهم. أفخم الثياب ، يجرون ذيلهم وراءهم ، وخلفهم أندادهم ورفاقهم من النساء المسيحيات ، وسابقتهم الآلات المقدسة ، المسلمون وغيرهم من المراقبين ، حملوا اثنتين عندما عادت البطانية ، لم ينكر ذلك. وحملوها معهم حتى أتوا بها إلى بيت زوجها وصنعوا وليمة في ذلك اليوم". [1]

تباينت مراسيم الزواج إلى حد كبير ما بين السكان الشرقيين و الصليبيين في المجتمع الصليبي، فبينما كانت مراسيم الزواج عند الصليبيين، كما وصفها لنا ابن جبير امتدادا لما كان سائدا في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى آنذاك،[2] حيث تكون حفلة الزفاف بعد عقد قران العروسين، فلقد كانت من عادات الشرقيين في اليوم السابق لحفل الزواج و هو اليوم الذي يعرف بليلة الحناء، أن تضع العروس الحناء في يدها و قدميها، و كذلك العريس، و بعد ذلك تذهب بصحبة أهلها وصديقاتها في جو من البهجة و الفرح و الغناء، و يتم بعد ذلك تزيينها تهيئتها نهائيا لليلة الزفاف، أما في اليوم التالي فيتم الزفاف في حفل بهيج يضم جميع الأهل الأصدقاء و الجيران من كلا الجانبين في أبهى ملابسهم، حيث يتم في ذلك عقد قران العروسين، و بعد ذلك يقوم كلاهما مع الحاضرين بالمرور في بلدهما للإعلان و الإشهار بتمام زواجهما حيث ينثر عليهما أهل البلدة الورود و الحلوى و ماء الورد، ثم يعود العروسان إلى منزلهما لينتهي حفل الزفاف بين ألحان الموسيقى و الغناء و تهاني الأهل و الأصدقاء ، وقد انقسم المسلمون في بلاد الشام حسب مذهبهم إلى سنة وشيعة، دانت الأولى بالولاء للخليفة العباسي ببغداد ودانت الثانية للخلفية الفاطمي بالقاهرة،

---

[1] ابن جبير، المصدر السابق، ص278، 279.

[2] ستيفن رنسيمان. المرجع السابق، ص712.

كما يمكن تقسيمهم حسب أصولهم إلى قسمين قسم يرجع إلى أصل عربي خالص والقسم الآخر انحدر من أصول غير عربية دانت بالإسلام منذ أمد بعيد أمثال الأتراك والأكراد [1].

كان المسلمون يعيشون في مدن وأرياف بلاد الشام ولكنهم في الوقت الذي كانوا يشكلون فيه أقلية في المدن الصليبية كان عددهم كبيرا في المراكز العمرانية الصغيرة ، فقد كان الريف كله مسلما، واستمرت التجمعات القروية الإسلامية تعمل تحت الحكم الصليبي، كما ظلت الحياة الاجتماعية الأساسية كما هي على الرغم من أن الدولة الإسلامية فقدت سيادتها وسلطتها. [2]

سكن أغلب المسلمين الأرياف واشتغلوا بالزراعة وفلاحة الأرض وبذلك ظلوا على أنشطتهم الأولى التي كانوا يمارسونها قبل الغزو الصليبي لبلاد الشام، فقد قام الصليبيون بتقسيم الأراضي التي كانت بحوزة المسلمين فيما بينهم واستخدموا المسلمين في زراعتها. [3] واعتمدوا عليهم في توفير غذائهم، لذلك فقد عاش مسلمو القرى في مملكة بيت المقدس في ظل نظام إقطاعي لاتيني يمتلك فيه السيد الإقطاعي الأرض بمن فيها وبذلك تحول عدد كبير من المسلمين بعد الغزو الصليبي إلى ما يقرب من مرتبة العبيد بعد أن سلبهم اللاتين ما كانوا يملكونه وأصبحوا يعملون لديهم بعد أن كان كثير منهم ملاكا ، غير أن مسلمي مملكة بيت المقدس كانوا أفضل حالا من مسلمي أنطاكية الذين عانوا الويلات من سادتهم اللاتين الذين فرضوا عليهم ضرائب ثقيلة زادت كاهلهم.[4]

وتركزت الحياة الدينية في القرى حول المساجد الصغيرة واستمر القضاة والعلماء يباشرون خدماتهم الدينية والدنيوية لأنه لم يكن ممكنا الاستغناء عنهم في شؤون الزواج والميراث وقد

---

[1] نهى فتحي الجوهري ، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري ، دار العالم العربي، ط1، القاهرة ،2008، ص200.

[2] يوشع براور، عالم الصليبيين. تر. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسين.ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1999م، ص50.

[3] أحمد عبد الله الأحمد، الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن 6-7هـ/ 12-13م، دط، القاهرة. دار الافاق العربية، 2016م. ص47-48.

[4] ناجلا محمد عبد النبي، المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء قوانين المملكة، دط، الإسكندرية. د.ت، ص62-64.

نجت بعض المساجد حتى في المدن الكبيرة من التحويل إلى كنائس وظلت بأيدي المسلمين، كما اعترف الصليبيون بالسلطة التقليدية للشيوخ ومنح شيخ القبيلة نوعا من السلطة وكان هو الذي يمثل القرية في التعامل مع الحاكم الصليبي.[1]

أما تأثير الحروب الصليبية في النظام القيمي والأخلاقي في العالم العربي، فيمكن أن نرصده من خلال الحقيقة القائلة إن تلك الحروب الطويلة المرهقة كان لها من الإفرازات السلبية ما يفوق إفرازات الحروب العادية. فقد وقعت أحداث الحملة الصليبية الأولى في زمن كان العالم العربي الإسلامي يعاني من شرور التمزق والتشرذم السياسي، بحيث فشل في القضاء على الموجة الصليبية الأولى؛ على الرغم من موارده الهائلة بشريا واقتصاديا، وقبل أن يستوعب المسلمون الصدمة كانت قد مر حوالي خمسين سنة .[2]

هذه الحقيقة كانت لها انعكاساتها على جماهير الناس في العالم العربي فامتلأت النفوس بالغضب ومشاعر الإحباط والمرارة التي زادت من حدتها أعداد اللاجئين الهاربين من وحشية الصليبيين عند كل هجوم جديد[3] حيث شعر الناس في المنطقة العربية بمدى عجز الحكام، وامتلأت النفوس كل مكان بروح العجز وشاعت روح من التقوى السلبية، والتدين العاطفي الهروبي. وقد تجسد في انتشار الطرق الصرفية. الجاهلة من الدراويش. وأتباعهم الذين رددوا الخرافات. وأنباء معجزات الدراويش؛ وكراماتهم المزعومة على أنها من حقائق التاريخ ومع أن التصوف بمعنى النسك والزهد والتفقه في الدين قد ظهر على استحياء في القرن الثالث الهجري/ السابع الهجري ثم انتشر رويدا رويدا، فإنه لم يتخذ شكل الظاهرة السائدة في الحياة الاجتماعية قبل العصر الأيوبي[4].

عانت المجتمعات الشامية كثيراً من مظاهر التدهور الاجتماعي على صعيد النظام القيمي والأخلاقي، فانتشر الشذوذ الجنسي بشكل واسع، وهو من أخطر الأمراض

---

[1] ابن جبير، المصدر السابق. ص302.

[2] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص171.

[3] وليم الصوري، المصدر السابق، ص442، 443

[4] عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط8، القاهرة، 1968. ص 95-104.

الاجتماعية على الإطلاق. ذلك أنه إذا لم يكن من أسباب الأسباب الاجتماعي فهو على أقل تقدير من مظاهر هذا الانهيار. وربما يكون من عوامل تفشي هذا الشذوذ غياب القوات الرئيسة في الجيوش المتحاربة فترات طويلة في ميدان القتال بشكل كان يحول بينها وبين الاستقرار اللازم لحياة الأسرة، فضلا عن أن جزءا كبيرا من الجيوش، لا سيما في عصر سلاطين المماليك، كان من جنود غرباء انتزعوا من بلادهم ليباعوا في أسواق النخاسة، وينشئوا بعد ذلك في ظل نظام تربية المماليك ، وقد عُرف عدد كبير من سلاطين تلك الحقبة بـ "ذاكرة الحب". علاوة على ذلك ، انتشرت المثلية الجنسية بين الصوفيين لدرجة أن بعض الحكام قرروا عدم دخول الشباب المتمرد أو الأولاد الوسيمين إلى الأماكن الصوفية. الخزانة والمسؤولات عن البغايا كان يطلق عليهن المطربين "الضامنين". "يبدو أن هناك أحياء خاصة بالبغايا في المدن.[1]

على أن أهم النتائج السلبية للحروب الصليبية على المستوى الاجتماعي تمثلت في توتر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، لا سيما في بلاد الشام. وعلى الرغم من أن الصليبيين قد عاملوا المسيحيين الأرثوذكس معاملة قاسية، إذا استولوا على كنائسهم وحولوها إلى كنائس لاتينية، كما منعوا الأقباط من زيارة بيت المقدس على اعتبار أنهم هراطقة على الرغم من هذا وغيره.. إلا أن مشاركة المسيحيين. الموارنة والسريان، والأرمن ، في بلاد الشام في مساعدة الصليبيين قد زرع بذور الشك والمرارة، التي تولدت منها أحداث عنيفة ضد المسيحيين تصاعدت حدتها طوال عصر الأيوبيين والمماليك من بعدهم.[2]

ناهيك أن الحروب الصليبية أدت إلى خلل في القوى الاجتماعية في بعض المناطق، حيث تحول المسلمون إلى أقليات في المدن التي احتلها الصليبيون نتيجة المجازر الصليبية والهجرات الجماعية التي نتجت عنها. كما اختار بعض المسلمين التخلي عن دينهم واعتنقوا المسيحية خوفًا على حياتهم.[3] كان من الطبيعي لأبناء الأقليات الإسلامية في المناطق

---

[1] المقريزي، الخطط المقريزية، المصدر السابق، ج 2، ص 95 .

[2] وليم الصوري، المصدر السابق، ص52، 53.

[3] فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص144.

التي خضعت للصليبيين التمسك بهويتهم الحضارية والتأكيد على انتمائهم للحضارة العربية الإسلامية بمختلف أشكالها. اعتاد مسلمو الريف المحيط بعكا على إخفاء الأسرى المسلمين عن أعين الصليبيين ومساعدتهم في الوصول إلى المناطق الإسلامية وبالمثل تركزت الحياة في القرى الريفية الخاضعة لسيطرة الصليبيين حول المساجد الصغيرة ، واستمر الفقهاء والقضاة في توجيه خدماتهم الدينية والدنيوية لأهالي هذه القرى. لأنه لم يكن من الممكن الاستغناء عنها في أمور الزواج والميراث وغيرها. أما علاقة الفلاحين المسلمين بالصليبيين فكانت علاقة تقوم على الاستغلال والابتزاز.[1]

كان للعنصر الايطالي دوره في تكوين المجتمع الصليبي. وأول جالية إيطالية كانت موجودة ببلاد الشام، هي الأمالفيون سكان مدينة Amalfi أمالفي الإيطالية، حيث كانوا أنشط العناصر التجارية الأوروبية حتى قبل الحروب الصليبية لقرون عدة فمنذ بداية القرن السادس الميلادي وفدوا إلى السواحل الشامية، وفي القرن العاشر الميلادي ، أفاد تجار أمالفي من حماية الإمبراطورية البيزنطية لهم؛ فأسسوا علاقات تجارية مع مصر والشام، ما ساعد على تدفق العديد من حجاج أمالفي إلى الشام وفي سنة 473هـ/1080م، أقام الأمالفيون نواة منظمة الإسبتارية التي كان لها دور كبير في حرب الصليبيين في عصر لحروب الصليبية [2].

لقد كان المجتمع الصليبي ومنذ استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، بتاريخ 22 جمادى الثانية 492هـ/15 ماي 1099م يعاني من نقص حاد في السكان لاسيما بعد أن قرر معظم الصليبيين العودة إلى بلادهم بعد أن أتموا رحلة الحج. وقدر عدد العائدين إلى أوروبا بحوالي عشرين ألفا. وبحلول عام 493هـ/1100م لم يكن في مملكة بيت المقدس سوى ثلاثمائة فارس. ونفس العدد من المشاة الذين تُركوا الحراسة مملكة بيت المقدس، ويؤكد وليام الصوري ذلك بقوله "وكان سكان قطرنا العدد قلة ملحوظة ويعيشون في فقر مدقع حتى أنهم

---

[1] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 174.

[2] محمود محمد الحويري. المرجع السابق. ص75

كانوا أقل من أن يشغلوا شارعا واحدا من شوارعنا "[1]. فقد تصورت العناصر التي كونت الحملة الصليبية الأول أنهم بمجرد الاستيلاء على مدينة بيت المقدس. من أيدي المسلمين أن مهمتهم ورحلة حجهم قد انهيا وعلهم الرجوع إلى ديارهم.[2]

عانت المناطق الريفية في بلاد الشام أكثر من غيرها من الآثار السلبية للحروب الصليبية. في ظل حكم الفاطميين و السلاجقة ، عاش الفلاحون حياة قريبة من القنانة في كثير من الحالات نتيجة العلاقات المفترسة التي ربطت هؤلاء الفلاحين بأسيادهم الإقطاعيين. مع تزايد الإقطاع الشخصي ، أصبحت الأرض الزراعية مجرد مورد للحصول على النفقات اللازمة لتجنيد المقاتلين ، ولم يعد أصحاب الإقطاعيات يهتمون بالأرض أو رفع كفاءتها ، أو وسائل الري والصرف وغير ذلك من الجوانب. العناية الواجبة للأراضي الزراعية. وكانت النتيجة تدهور إنتاجية الأراضي الزراعية إلى حد ينذر بالخطر ، كما عرفت بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية عددا من الصناعات والحرف التي اكتسبت لنفسها شهرة تاريخية في العالم المعروف آنذاك [3]، إذ عرف العالم من منتجات الشام الورق والسكر والزجاج، والخزف وصناعة الأثاث، إلى جانب صناعة النسيج، والأقمشة الشهيرة، والعقاقير، والعطور والخمور، والنبيذ ، وقد انتعش بعض هذه الحرف في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي واكتسب قوة إضافية حين فتحت أمامه أسواق جديدة. وتوسعت أسواقها القديمة بفضل نشاط الجاليات التجارية الإيطالية في مدن القطاع الصليبي. كذلك فإن صياغة الذهب والفضة، وصناعات الحديد والأسلحة، والجلود، والصابون والسجاد انتعشت على نحو لم يسبق له مثيل إبان عهد الاحتلال الصليبي والهدوء النسبي الذي ساد في عصر خلفاء الناصر صلاح الدين الأيوبي[4].

ولكن العمليات العسكرية العنيفة التي جرت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، ثم تدهور الكيان الصليبي تحت ضربات سلاطين المماليك بيبرس وقلاوون وابنه الأشرف،

---

(1) وليم صوري. المصدر السابق. ص 318.

(2) جوناثان ريلي سميث. المرجع السابق، ص 46.

(3) وليم الصوري، المصدر السابق، ص 92، 93.

(4) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 178.

جعلا الإيطاليين ينقلون عددا من هذه الصناعات إلى بلادهم، ولم يلبثوا أن تفوقوا في بعضها، وأصبحوا مصدرا مهماً من مصادرها في التجارة العالمية. إلا أن صناعة النسيج الشامية ومنتجاتها ظلت طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين تسيطر على الأسواق الخارجية، ولم تعان أي منافسة إيطالية قبل القرن السادس عشر. ويمكن تفسير ذلك إلى الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي نعمت به بلاد الشام خلال الشطر الأول من عصر سلاطين المماليك[1].

أما التجارة فكانت المجال الذي تجلت فيه الآثار السلبية للحروب الصليبية في أوضح صورها ، فحتى بداية الحروب الصليبية كانت التجارة بين الشرق وأوروبا تسير في اتجاه واحد تقريبا لصالح الشرق. ولكن نجاح الحملة الصليبية الأولى ترتب عليه أمران غاية في الأهمية، أولهما : أن كل موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط صارت تحت سيطرة أوروبا حتى سنة583هـ/ 1187م عندما نجح المسلمون بقيادة الناصر صلاح الدين في استرداد معظم مدن الساحل . ثم بقي بعض الموانئ بيد الصليبيين، وأهمها عكا التي كان سقوطها سنة690هـ/ 1291 م نهاية الوجود الصليبي في المنطقة العربية، وثانيهما : تأسيس الأحياء التجارية في المدن التي استولى عليها الصليبيين، وما نتج من ذلك بالضرورة من تعاظم النفوذ الإيطالي، ثم الأوروبي عامة في التجارة العالمية على حساب التجار المسلمين. وعلى الرغم من الازدهار التجاري الذي شهدته بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، وعلى الرغم من ازدهار مدن كثيرة بفضل التجارة داخل بلاد الشام آنذاك إلا أن تعاظم الدور الأوروبي في التجارة العالمية في البحر المتوسط، ثم في التجارة العالمية بعد ذلك، قد جاء على حساب التجارة والتجار المسلمين، وخصص من دورهم الذي كان هو الدور الأكبر في التجارة العالمية حتى ذلك الحين ، وكانت الرشوة من أهم مظاهر الفساد التي أصابت المجتمع الشامي والمصري في عصر المماليك، وهي دلالة على التدهور والفساد في الجهاز السياسي

---

[1] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 181.

والإداري وأصبحت كظاهرة اجتماعية موردًا من موارد بعض الأمراء وموظفي الدولة، وبالتالي من موارد الدولة[1].

وشاعت الخمور بين السلاطين والأمراء وعامة الناس ، واعتاد الأمراء أن يتهادوا بها في الأفراح، وقد بلغ ما استهلكه أمير من الأمراء خمسين رطلا في اليوم الواحد، وإذا احتاج أحد السلاطين أو الأمراء إلى كمية كبيرة من الخمر لحفل أو ظرف طارئ، وزعوها على النصارى واليهود المعروفين بصنعها ، وقد كثرت وسائل الخلان والندمان في وصف الخمر ومجالس النشوة، وفي ذلك ما كتبه بدر الدين ابن الحاجب من رسالة في وصف خمرة في مجلس طرب، وبعث بها إلى الوزير فخر الدين بن مكناس[2].

تبين هذه الرسالة إقبال الناس على الحشيشة بعد تحريم الخمر لرخص ثمنها، وتصف ما تفعله الحشيشة بمدمنها من تخدير حتى يمشي مختلط الفعل، مرتعش الخطو، كما تشير هذه الرسالة إلى أن الناس كانوا لا يتورعون عن تعاطي هذا المنكر في الجوامع والمحافل ، ناهيك عن انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي، حتى عمدت النساء إلى التشبه بالذكور في ملبسهم ليستملن قلوب الرجال.[3]

---

[1] ابن جبير، المصدر السابق، ص 223-224.

[2] الرطل وحدة القياس الكتلة وتساوي (453غ). انظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية (مطبعة القوات المسلحة الأردنية، عمان، 1970م، ص14.

[3] أمين، المرجع السابق، ص 357 .

المبحث الثالث: الاستيطان الصليبي وخطر تهجير العنصر المسلم.

المطلب الأول: سياسة الاستيطان الصليبي.

1. تعريف الاستيطان:

الاستيطان أو الاستعمار هما الترجمة العربية للكلمة اللاتينية Colonus و يعنى حرث الأرض وزراعتها، كما تعني أيضا الاستقرار وإنتاج المحاصيل بل إن الكلمات الدالة على الفلاحة والحرث والعمل "Labour Travail" تدل في الوقت نفسه على المخاض والولادة، في اللغة الأوربية الحديثة نجد أن ألفاظ الاستيطان ترجع كلها إلى الأصل اللاتينية Colonus.[1]

والمقصود من هذا المصطلح هو هجرة جماعية بشرية من منطقة إلى منطقة أخرى، بهدف الإقامة فيها واتخاذها موطنا دائما لها، وهي ظاهرة قديمة من ظواهر الاجتماع البشرية، فمنذ عرف الإنسان استأنس الحيوان والعيش في القبيلة أصبح لكل قبيلة شيخ يجمع أفرادها ويراعي مصالحها ويعمل جاهدا على الحفاظ عليها "الحمي هو موطنها ومرعها، ومورد مائها، ولا يتحقق له الأمان إلا بالقوة والغزة والمنعة، وذلك بالاستكثار في الرجال والسلاح والأحلاف ويشمل الحمى عادة على مساحة كبيرة في الأراضي تكفي الحاجة القبلية، فإذا جف الماء أو نفذ العشب اضطرت الجماعة إلى الانتقال إلى مواطن أخرى يكون أوفر ماء وأخصب تربة، وقد تلجأ القبيلة إلى ضم مساحة من الأراضي إلى حماها بالإغارة على جيرانها، وتوسع ممتلكاتها.[2]

ارتبط الاستيطان بالوحشية والعنف والقتل، فلكي يتمكن الغزاة من الأراضي التي نزحوا إليها لابد لهم من إخلائها من سكانها الأصليين أو نقيهم بعيد عنهم ، والحركة الصليبية في جوهرها حركة استيطانية الأهداف امتلاك الأراضي ونهب الثروات، والفرق الوحيد بينها وبين غيرها من الهجرات الاستيطانية هو تسترها وراء الدين واتخاذه وسيلة لتجنيد الرجال وجمع

---

[1] نعيمة عبد السلام الساحلى، الاستيطان الفرنجي وتأثيره في البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للكيانات الصليبية في فلسطين والساحل الشامي، ط1، دقيبة، دمشق، 1430هـ/ 2009م، ص158.

[2] نفسه، ص156.

الأموال في الوقت الذي كانت الهجرات السابقة عليها أو اللاحقة لها ترجع أسبابها إلى شدة الفقر أو إلى الطمع فيها في أيدي الغير أو إلى قوة الجذب الحضاري، فكلها ترجع إلى أسباب دنيوية، اقتصادية أو اجتماعية.[1]

ومن هنا يتبين لنا أن الاستيطان ليس للحكم، ولا قانونا إداريا وإنما هو احتلال أرض بالقوة والإقامة عليها وقد تميزت هذه الظاهرة بقدوم غزاة من مكان ما هو الوطن الأم بالنسبة لهم إلى أرض غير أرضهم ويكونوان طبقة أرستقراطية حاكمة ، و التأثر المتبادل بين الغالب والمغلوب وأي الفرقين كان صاحب عقيدة دينية أو ثقافية حضارية، فهو الذي يفرض عقيدته أو ينشر ثقافته.

2. سياسة الاستيطان الصليبي:

كان الاستيلاء على الأرض في بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة الهدف الأهم للاستيطان في الانحاء المختلفة من بلاد الشام. لذلك فالبابا أوربان الثاني في كلير مونت دعا الى الحملة المقدسة وهنا احاطة العقيدة الصليبية الأرض ذو عامة القداسة[2]، حيث ان الكنيسة الكاثوليكية ارادت ان يوجه نحو الشرق تطلعات الفرسان الشجعان. لنهب وسلب الأراضي خارج حدود أوروبا ولذلك ارادت الكنيسة الكاثوليكية توسيع السلطة ليست في الغرب فقط بل في بلدان الشرق أيضا [3]

وبالتالي فان الحركة الصليبية بمجرد التأمل فيها نجدها ذات طابع عنصري تعصبي ضد من هو غير نصراني لذلك فلا عجب ان ارتبط بها الطابع الدموي والذي ظهر منذ بداية المشروع الصليبي على انه مشروع دموي تتكرر فيه المذابح والمجازر التي ارتكبها الصليبيون ضد اعدائهم المسلمين[4].

---

[1] يواشع براور، الاستيطان الصليبي، المرجع السابق، ص574.

[2] رواية روسي الراهب، عن المجتمع كليرمونت، ترجمة قاسم عبده قاسم نصوص ووثائق، ص 87.

[3] ميخائيل زابوف، المرجع السابق، ص46.

[4] محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص42.

وضع التنظيم الإداري أسس النظام الاقطاعي في السيطرة على مدن الساحل الشام بشكل عام ومدينة القدس بشكل خاص حيث قاموا باحتلال أراضي المسلمين واتفقوا اليهود والنصارى على ان كل من يضع يده على الأرض او منزل له الحق في ملكيتها بما ان " مدينة القدس" الهجرة تمثلت في عاملين، الأول: ان المدينة المقدسة كانت تحتاج لسكان يملؤون فراغها. أما العامل الثاني: تمثل في جذب المستوطنين للاستقرار في المدينة المقدسة. وقد أدت الهجرة الى زيادة عدد السكان حيث وصل العدد الى ما يقارب عشرة الاف نسمة استقروا فيها بشكل دائم.[1]

3. سياسة تهجير المسلمين:

تعرض المسلمون للطرد والتهجير من جراء السياسة الاستيطانية التي اتبعها الملوك الصليبيين ، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما أمر الملك بلدوين الأول حصار مدينة ارسوف اضطروا الى اجراء مفوضات استسلام تمثلت في اخراج المسلمين وتهجيرهم الى المدينة عسقلان فضلاً عن ارتكابهم الجرائم التي قام بها الصليبيون ضد المسلمين في انطاكية فهربوا من ديارهم خوفاً من تلك الجرائم. وتعد عملية الطرد والتهجير الجماعي سياسة اتخذها الصليبيون من اجل افراغ الاراض من سكانها الاصليين في مقابل البقاء على حياتهم كما حصل مع سكان مدن أرسوف وعكا وعسقلان.[2]

والجدير بالذكر أن فكرة الصليبيون عند محبيهم إلى الأراضي المقدسة كانت تقوم على النظام الإقطاعي الذي جلبوه معهم وطبقوه في الأراضي التي أحتلوها والقائم على تأجير الأرض بصورة دائمة حيث جلبوا معهم الخيول والصقور والكلاب وبعد مدة دخل الصليبيون

---

[1] مصعب حمادي نجم الدين . الصليبيون في بلاد الشام، ص36-37.

[2] مصطفى قداد. الاستيطان الصليبي لبيت المقدس. مجلة دراسات بيت المقدس . مج6، ع3. 2020. ص 380-381.

في اتفاق مع المسلمين يمنح الحرية للصيادين دون أن يتعرضوا للهجوم ، فضلاً عن السماح للقوافل التجارية وللمسافرين بالمرور دون اعتداء عليهم .[1]

كانت الحروب الصليبية تهدف إلى توسع الجماعة المسيحية التي لم تكن ثابتة على حدود معلومة بل امتدت في أماكن كثيرة على الأرض ، لقد كان الصليبيون منسجمون مع رغبتهم في هذا التوسع نحو الشرق[2] ، وقد كانت سياسة المحبة الأخوية للإخوة المسيحيين من الأمور التي دعا إليها البابا أوروبا الثاني في كليرمون كذريعة لشن الحملة الصليبية الأولى وبالتالي فإن هذه الاستبدادية الجديدة فتحت باب الوحشية للصليبيين اتجاه المسلمين.[3]

إن الأعمال الإرهابية التي قام بها الصليبيين ظلت في أذهان المسلمين، منذ أن دخلوا أنطاكية وبيت المقدس وارتكابهم المجازر المروعة كانت عبارة عن سياسة للتهجير القسري لسكان المدن والقرى التي اعتمدها الصليبيون ففي الحملة الصليبية الأولى تم تهجير عدد كبير من السكان، كما مدت تفريغ سكاني لبعض المدن ولذلك تؤكد لنا كثير من المصادر التاريخية أن موجات كبيرة من اللاجئين طردوا وهجروا من مدنهم أثناء العمليات العسكرية للصليبيين لاحتلال الأراضي المقدسة.[4]

أشار الإدريسي[5] الذي زار دمشق في القرن 7هـ-13م أنها احتوت على العديد من الضياع وأن كل ضيعة احتوت على ما بين ألف إلى ألفين نسمة، فقد استولى الصليبيون على الممتلكات والعقارات التي كانت بالمدن التي احتلوها، وهجروا سكانها بالقوة ، وتم هذا الاستيلاء بقانون الغزو الذي وصفه الشارتري[6] قائلاً: "وبعد هذه المذبحة العظيمة دخلوا

---

(1) علي سعود عطية، تاريخ الحروب الصليبية، ط1، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوزيع، القاهرة، 2010، ص 131.

(2) علي سعود عطية، المرجع السابق، ص 174.

(3) علي سعود عطية، المرجع نفسه، ص 177.

(4) ابن القلانسي،ديل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص166.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، ص 366.

(6) الشارتري، المصدر السابق، ص 115.

الفرنج بيوت المواطنين يمتلكون ما وجدوا فيها وقد رتبوا ذلك بحيث أن أول من يدخل بيتا سواء كان بيت غني أو فقير فلن يعارضه بذلك أي إفرنجي، وله أن يسكن أو ينتلك ذلك البيت أو القصر وكل ما فيه وبهذه الطريقة أصبح كثير من فقراء الفرنجة أغنياء .

المطلب الثاني: العناصر الأساسية للاستيطان الصليبي.

تقوم عملية الاستيطان على جملة من الأسس والعناصر الأساسية وهي كالآتي:

-الأراضي : تعد الأرض العنصر المهم لإقامة التجمع البشري، والتي من أجلها أقيمت من المخططات وكان بدايتها بها صرح الباب أوربان الثاني بقوله:" أنقذوا تلك الأرض من ذلك الجنس المرعب وأحكموها بأنفسكم لأن هذه الأرض التي تفيض باللبن والعسل كما يقول الكتاب المقدس أعطاها الرب ملكا لبني إسرائيل" [1] .

وقال أيضا القدس هي مركز العالم وهي الأرض التي تسمو فوق غيرها محل جنة أخرى حافلة بالمتع، فقد كان يدعوا إلى حملة مقدسة هدفها فلسطين اعتمادا على نصوص من الأناجيل المسيحية وذلك بهدف إخضاع الكنيسة الشرقية لسلطة البابا في روما، وتخليص الأرض المقدسة من سيطرتهم، هذه الأرض التي وصفها البابا بأنها ميراث المسيح حيث قال "فإنني بل أن الله وليس أنا يحثكم يا جنود المسيح أن تحفوا الرجال ..... أن يسارعوا لسحق هذا الجنس الخسيس من أراضينا ومد يد العون للسكان المسيحيين.[2]

شن الصليبيون ومن اجل ذلك عدوانهم ضد الأراضي الإسلامية في الشرق، لكون الأرض ضرورية للحكم، وقد تطلب الاستيطان الصليبي في فلسطين الحصول على مزيد من الأراضي لضمان الاتصال مع الظهير الأوروبي، فسعوا إلى توطيد سيطرتهم على مدن الساحل الفلسطيني ، ويقدم لنا ابن الأثير الكثير من الأمثلة عن استعانة الصليبيين في الشام بالظهير الأوروبي للحج إلى بيت المقدس لغرض تدعيم قواهم العسكرية عندما استعان الملك بلدوين الأول بالقادمين من أوروبا لزيارة بيت المقدس لمحاربة القوات الفاطمية في عسقلان

---

[1] رواية الراهب روبير عن مجمه كليرمون، الحملة الصليبية الأولى، نصوص وثائق، قاسم عبد القاسم، عين الدراسات والبحوث، القاهرة، 2001، ص 75.

[2] الشارتري، المصدر السابق، ص 36.

سنة496هم1102م[1] وتمكن الصليبيون بعدها من إقامة مستوطنات لهم على يد الجيش الصليبي كما عملوا على إنشاء الحصون والقلاع ولم يقطع الدعم المادي الأوروبي والدعم العسكري عنها طوال تلك المدة.[2]

ومما سبق أعلاه يظهر لنا جليا أن الحروب الصليبية لم تكن دينية فحسب وإنما كانت حركة استعمارية استيطانية هدفها السيطرة على الأرض في الشرق والتوسع الجغرافي للصليبيين، وذلك من خلال تسترها بغطاء الدين.[3]

1- تشجيع الهجرة النصرانية والدعم المادي:

كان نجاح الغزو الصليبي يعتمد على القوة البشرية بشكل مباشر فبعد أن حققت الحملة الصليبية هدفها في احتلال بيت المقدس غادر كبار القادة الصليبيين منهم روبرت دوق الفلاندر وروبرت النورماندي وظل عدد كبير من القادة الآخرين مثل جودفري البويوني، وبلدوين الأول وبلدوين الثاني متواجدين في الشام حيث قاموا بمهمة الإدارة الاستعمارية الاستيطانية.[4]

بعد أن فقدت فلسطين عدد كبير من السكان نتيجة المجازر التي قام بها الصليبيون فضلاً عن عملية التطهير وطرد السكان المحليين، وبعد الحملة الصليبية الأولى عاد معظم الصليبيين إلى بلادهم ولم يبقى منهم إلا عدد قليل، فأتبع الصليبيون سياسة تشجيع الهجرة الأوروبية إلى فلسطين لتدعيم الوجود الصليبي في المملكة الصليبية من جهة وفي الحصول

---

[1] ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص 68.

[2] ريموند سميل،الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1967، ص 26.

[3] محمد مؤنس عوض، عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات، ط1، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، 2005، ص 201.

[4] مصعب حمادي الزيادي، المرجع السابق، ص 35.

على المكاسب المادية من جهة ثانية لذلك بدأت جماعات الصليبيين في طريقها نحو الشرق من فرنسا وانجلترا وإيطاليا وغيرها من دول غرب أوروبا[1].

وتعد القوة الاقتصادية والمالية من العناصر المهمة للاستيطان وذلك من أجل نقل تكاليف المستوطنين وإقامة المشاريع فضلاً عن دعم القوة العسكرية فقاموا بفرض التبرعات من كل دول العالم لدعم المستوطنات الصليبية في بيت المقدس[2].

ومما سبق ذكره نستنتج أن انجلترا تحمل الدور الأكبر من دعم الحملات الصليبية مالياً وترسيخ الاستيطان الفرنسي الصليبي في فلسطين.

المطلب الثالث: أهداف الاستيطان الصليبي.

كان هدف الفرنجة منذ الحملة الصليبية الأولى هو الاستيلاء على الأراضي أمثال بوهمند وريموند وصنجيل، الذين عزموا على تأسيس ممتلكاتهم لهم في الشرق فقد كانوا يهدفون إلى إحياء المسيحية في الأراضي المقدسة حيث كان الاستيطان الدائم يتطلب حيازة عدة أراضي لأن الأرض هي الأساس المادي لإقامة الحكومة حيث قام الفرنجة بتأسيس مستوطنات على الساحل السوري من أجل تأمين مواصلاتهم مع الغرب ومن جهة أخرى للسيطرة على الطريق التي تصل بين الموانئ وممتلكاتهم الداخلية، إضافة إلى النظام الإقطاعي حيث كان الحاكم الإقطاعي يطلب الأراضي من أجل تقطيعها على أتباعه الذين يخدموه في بلاطه وجيشه وكان النظام الإقطاعي هو السند الحقيقي للحاكم الفرنجي في هيمنته وسيطرته على الشعوب الشرقية.[3]

قام الصليبيون بجهود واسعة لحماية المستوطنين الفرنج وحماية الأراضي التي سيطروا عليها بإقامة سلسلة من القلاع والحصون في مناطق إستراتيجية لمنع الاتصال بين أبناء

---

[1] مصطفى قداد، الاستيطان الصليبي لبيت المقدس وتهجير المقدسين، مجلة دراسات بيت المقدس، قسم اللغة العربي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة ماردين أرتقلو، تركيا، ص 373.

[2] مصطفى قداد، المرجع السابق، ص 374.

[3] سميل، ريس سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر، (1097-1293)، ترجمة محمد وليد الجلاد، ط1، مركز الدراسات العربية، دمشق، 1982، ص 54.

الشام ومصر وعرقلة الوحدة بينهم وقد أدت هذه السياسة تغيير معالم الأرض وفقدانها هويتها الإسلامية،[1] حيث كان الهدف الأول لكل غاز هو السيطرة على الأراضي والاستيلاء على نقاطها الحصينة فقد كانت السيادة المستديمة هي السيطرة على المدن والقلاع المحصنة خاصة.[2]

1- تحقيق الأهداف العسكرية:

حرص الصليبيون على تشييد قلاعهم في مواقع ذات مميزات خاصة ، فلم تكن تشيد إلا بعد دراسة دقيقة للموقع الجغرافي الأكثر ملائمة لإقامة القلاع والحصون واحتياجات الصليبيون الحربية.[3]

كان عنصر القوة العسكرية مظهر للتعبير عن قوتهم الحربية، والسيطرة على الأرض وبناء الحصون والقلاع عليها وذلك استجابة لدواعي الفراغ بين المسلمين من أجل الحفاظ على الأمن العسكري كما يقول المؤرخ اليهودي براور، وهي الباحث الموجه لحياة الصليبيين في فلسطين والشام بوصفها الضمان الوحيد لاستمرارية وجودهم، فالأماكن الحصينة التي أنشأها الصليبيون سواءا كانت ندنا أو قلاعا فهي لم تسعى من أجل السيطرة على المناطق الريفية فقط بل لضمان الاتصالات وجعل الوجود الصليبي حقيقة ملموسة في الأرض المقدسة، لهذا فإن الصليبيون [4].

قام الصليبيون بإنشاء المعاقل على الطرق الرئيسية والثانوية ونقاط المراقبة، حيث كان من السهل أن تتصل القلاع والحاميات العسكرية من الجبل إلى السهل عن طريق الإشارات بالنار أو الحمام الراجل وهذا الأسلوب تعلمه الصليبيون من المسلمين فبهذه الرسائل أصبحت الأخبار تنتقل بسرعة من شرق المملكة الصليبية إلى غربها حيث مدن عكا ويافا،

---

(1) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 95.

(2) سميل ريس سميل، المرجع السابق، ص 56.

(3) محمد مؤنس عوض، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، المرجع السابق، ص 8.

(4) يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، المرجع السابق، ص 340.

ولقد كانت المواقع الصليبية الحصينة بمثابة مؤسسات عسكرية ثابتة أما الجيش هو العنصر المتحرك.[1]

كانت القلاع والحصون تعمل على وقف محاولات المسلمين لتسلل و الحاق الأذى الاقتصادي بمورد اعدائهم الزراعية لذلك وفرت للسكان الأمن ولاستقرار الذي كان يدفعهما للاستمرار والتشبث بالأرض و زراعتها مادامت التيارات الصليبية قادرة على توفير الحماية لهم تحت سلطة قلاع حصينة في مواجهة المسلمين [2] .

تمكن الصليبيين من السيطرة على المدن الساحلية مثل ارسوف وقيصرية و عكا التي أصبحت عاصمة للملكة الصليبية ويرجع هذا الازدهار للنشاط الاقتصادي التجاري وذلك لامتلاكها ميناءً كبيراً صالحاً لرسو السفن في كل فصول السنة واستقرت فيها الطبقة الاسقراطية الحاكمة من النبلاء و اصبحوا يشكلون العمود الفقري للمجتمع الصليبي في بلاد الشام، واللافت للنظر أن رقعة الاستيطان الصليبي قد توسعت بعد سيطرة الصليبيين على مدن الساحل الشامي ولم يبق سوى صور وعسقلان التي سعى الملك بالدوين الثاني بمساعدة البنادقة للاستلاء عليهما [3] .

أنشا الصليبيون مستوطنات عدة في بلاد شام بعضها ذا طابع عسكري من أجل توفير الحماية للصليبيين والبعض الآخر ذا طابع اقتصادي لغرض زيادة الرقعة الزراعية في الأراضي المقدسة ومن امثلة تلك مستوطنات الرام وقلندية وعطارات وغيرها. كما ان بعض المستوطنات الصليبية شكلة كثافة سكانية عالية مثل مدينة قيسارية التي ضمت 97 مستوطنة حسب تقدير احد المؤرخين العرب وبالتالي فإن الأرض هيا جوهرة السيادية [4].

---

[1] يوشع براور، عالم الصليبيين، المرجع السابق، ص 151.

[2] محمد مؤنس عوض. تاريخ الحروب الصليبية – التنظيمات الدينية والحربية ي مملكة بيت المقدس اللاتينية. ق 16-17هـ . 12-13م . ط 1. دار الشروق. عمان 2004. ص79.

[3] مصعب الزيادي. المرجع السابق، ص39-40.

[4] المرجع نفسه ، ص45.

المطلب الرابع: أثر الاستيطان الصليبي على المعالم الدينية في بلاد الشام.

نجح الصليبيون في احتلال بلاد شام وإقامة المستوطنات وعاثوا فيها خراباً وفساداً فقتلوا العلماء وهجروا من بقي منهم[1]، وبذلك تم قضاء على الحركة العلمية والفكرية للمسلمين في القدس، وكذلك من بين أعمال الصليبيين الهجوم على أماكن العبادة للمسلمين ودمروا المساجد وحولوا بعضها الى كنائس كاثوليكية، فما أن سقط المسجد الاقصى في أيديهم عام 493هـ/1100م، حتى عملوا على تخريبه وسرقوا أجزاءً كبيرة منه وحولوا مسجد قبة الصخرة إلى كنيسة سموها "معبد السيد المسيح" وأقاموا فيه مختلف شعائرهم الدينية، كما اقاموا مذابح لهم ورسموا صور ونقوش لاتينية على جدرانه وكذلك وضعوا فيه التماثيل[2]، فضلاً عن تحويل أروقة المسجد الأقصى مساكن لفرسان الداوية، وكذلك حولوا مسجد عسقلان و اطلق عليه اسم " كنيسة القديس بوليس" وحولوا المسجد الابراهيمي في الخليل الى كنيسة أيضا كما حولوا مسجد عكا الى كنيسة كاثوليكية خدمة لمصالحهم الدينية[3].

استمر الصليبيون بسياستهم في معظم مناطق بلاد الشام التي استوطنوها وغير الصليبيون أسماء مدينة القدس وأبوابها وشوارعها. فضلاً عن أسماء بعض الأماكن فيها واطلقوا عليها تسميات صليبية جديدة [4]. وكان الهدف من هذه السياسة هو القضاء على الوجود والهوية الإسلامية ومعالمها وكل مظاهر الحياة العلمية فيها والاضطهاد الثقافي والحضاري ضد المسلمين[5].

---

(1) عصام مصطفى عقلة وفوزي خالد الطواهية. زيارة العلماء للقدس في ظب احتلال الفرنجي الصليبي. المجلة الأردنية للتاريخ والاثار المجلد 11. العدد 3. 2017م . ص22.

(2) أبو شامة. الروضتين .ج3 . ص256.

(3) على السيد . الخليل والحرم الابراهيمي في عصر الحروب الصليبية 492هـ. 583هـ/ 1099-1187م . ط1. دار الفكر العربي. القاهرة 1998. ص 329.

(4) ابن الاثير. الكامل .ج10. ص149.

(5) على السيد. المرجع السابق. ص 64.

1- أثر الهجرات السكانية على الأوضاع في بلاد الشام:

بمجرد دخول الصليبيين لبلاد الشام سنة490هـ/ 1098م بدأت نزيف حقيقي سلكانها الأصليين وذلك خشية المجازر الدموية التي ارتكبوها في المدن الإسلامية، وهذه الهجرات تركت أثر سلبياً على مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية.[1]

ففي المجال الاقتصادي تأثرت الزراعة بصفة خاصة وذلك لهجرة الفلاحين من ارضيهم. مما أدى الى تعطيل الأنشطة الزراعية في العديد من المدن الساحلية التي استولى عليها الصليبيون وهجروا سكانها منها شرقي الاردان ودمشق. الأمر الذي حمل الصليبيين على تغيير في سياستهم تجاه سكان البلاد التي احتلوها بالقوة. فعندما استولوا على صيدا عام504هـ/ 1110م ابقوا سكانها من الفلاحين ولم يجبروهم على الهجرة كما حدث في المدن التي سقطت سابقا [2] وذلك من أجل مصالحهم لكي يستمر هؤلاء الفلاحين بزراعة أراضيهم وحقولهم[3]، بعد أن أسهمت هذه الاجراءات التعسفية السابقة في تعطيل الاقتصاد وتدهور الواقع الزراعي مما أدى الى قلة المواد الغذائية وارتفاع الأسعار [4].

أثرت الهجرات على الأوضاع الاقتصادية للمهاجرين لأن غالبيتهم اضطروا الى الهجرة من بلادهم دوان اصطحاب أموالهم وامتعتهم مما جعلهم يعيشوا في صعوبات مادية بالغة[5] ويقول ابن الاثير: " وتفرقوا في البلاد وحملوا ما اطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه" [6].

تغير الوضع الاجتماعي لبعض الفئات في هذا الفترة مثل المسيحيون الشرقيون الذين يسكنون شرقي نهر الأردن وحوران وذلك بعد تهجيرهم الى بيت المقدس. لذا اصبحوا سكان مدن بعدما كانوا قروين . ونتيجة لما حداث من مصاهرة بين هؤلاء المهاجرين والفرنجة.

---

[1] قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 201-202.

[2] فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص243.

[3] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص293.

[4] يوشع براور، عالم الصليبين، المرجع السابق، ص83.

[5] وليم الصوري، المصدر السابق، ج3. ص28.

[6] ابن الاثير. الكامل في تاريخ، المصدر السابق، ج2، ص 2311.

ظهور جيل هجين جديد من الأطفال لقبو بالبولان، [1] اختلال القوى الاجتماعية لبعض المناطق اذ تحول المسلمون الى أقليات في المدن التي احتلها الصليبيون من جراء مذابح الصليبيين والهجرات الضخمة التي نجمت عنها كما ان بعض المسلمين تأثروا عن دينهم فاعتنقوا المسيحية خوفا على حياتهم. [2]

أصبحت المدن التي هجر اليها المسلمين تعاني من الازدحام السكاني، فكانت دمشق المدينة التي تظم الكثير من المهاجرين التي ضاقت بأهلها بعدما تضاعف عدد سكانها وشكل ذلك عبئاً ثقيلا على المدينة[3]، وهذا ما حدث كذلك الى عسقلان التي استمر تدفق اللاجئين اليها طوال ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، أما المدن التي هجر الصليبيين سكانها، فقد أصبحت تعاني من قلة السكان مثل عكا ، اما القدس فقد قتل اغلبية سكانها، وهجر الصليبيون من نجا منهم [4] كما انهم اصدروا قانون يمنع المسلمين واليهود من الرجوع الى بيت المقدس ، او العيش فيها مرة أخرى.[5]

---

[1] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 163،164.

[2] قاسم عبده قاسم. ماهية الحروب الصلبية. ص174.

[3] ابن طولون محمد بن على بن احمد. 953هـ، قلائد الجوهري في تاريخ الصالحيات. تحقيق محمد احمد. ق1. دمشق،1980م. ص5.

[4] يوسف درويش غوانمة. دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي. عمان. 1983م. ص 145-146.

[5] وليم الصوري. المصدر السابق، ص312.

المبحث الرابع: العلاقات الاجتماعية بين المعلمين والصلبين.

المطلب الأول: التفاعل الاجتماعي بين المسلمين والصليبيين.

على الرغم من أن الحروب الصليبية كانت تحمل الطابع العسكري في حقيقتها لكنها لم تكن مجرد معارك وصراع بين المسلمين والصلبين كما يتضح لنا من خلال اسمها ولكنها تخللتها علاقات إنسانية عديدة ظهرت في وقت السلم التي تعد فترة أطول من الحرب، فحدث التقارب والحوار والتفاهم والتعاون بينها ، وأعطت الفرصة للتدخل والاختلاط الاجتماعي.[1]

بعد انقضاء الجيل الأول منهم الذي عاصره بلدوين وجوسلين الأول، نسوا تعصبهم الديني الأعمى واقاموا العلاقات الودية مع المسلمين ، وخلفت حياة اجتماعية من الفريقين ، هي في الواقع خليط بين الحياة الشرقية الإسلامية والغربية الصليبية، وأثرت كل واحدة منها في أخرى ،[2] وسجل الشارتري هذا التحول والاندماج الاجتماعي في الفترة المبكرة من الغزو الصليبي قائلاً: " أولئك الذين كانوا غربين اصبحوا لأن شرقيين".[3]

قال ابن خلدون : ان تلك العلاقات لم تنجم الا عن فطرة الإنسان ، فقال " فإذا حصل الملك أقحوار عن المتاعب التي كانوا يتكفلونها في طلبة ، وأثروا الحملة والسكون ورجعوا الى تحميل ثمرات الملك من المباني والمساكن ، والملابس ، فيبنون القصور ويغرسون الرياض ويتأثرون بأحوال الدنيا.[4]

أدت العلاقات الاجتماعية إلى تأثر هؤلاء كان المستوطنين الصليبيين بالعادات والتقاليد الشرقية السائدة في بلاد بلاد الشام، من حيث اللباس ، فلبسوا الملابس الفاخرة وتشبهوا بالمسلمين، واهتموا بأدوات الزينة والجواهر الثمينة، واستعمال مختلف أنواع الاثاث الفخر ، وأرادوا برنسا من الحرير ، واتخذ عادة العمامة ، وعند خروجه الى القتال أرتدى فوق درعه سترة من الكتان لوقاية الرأس من الحرارة وخوذته مثل التي يضعها الفرس العربي[5].

---

(1) محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص242.

(2) ابن منفذ، المصدر السابق، ص124.

(3) الشارتري، المصدر السابق، ص218.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص177.

(5) ستيفن رنسيمان، المرجع السابق ص ص506-509.

كما أقبل الصليبيون على اقتناء الأقمشة الحلبية والدمشقية والبغدادية واستخدموا البسط والسجاد متأثرين بالشرقيين وقلدت نسائهم المسلمين بالأزياء والحلي والمجوهرات حسب مكانة المراءة وقدرتها المادية، واستعمال النعال التي يستعملها المسلمون في بيوتهم حتى أن ملك القدس بلدوين الأول استدل ثيابه الغربية بأخرى شرقية، أما تانكرد هوتفيل حاكم انطاكية فقد سك النقود وعليها صورته في زي عربي ، وهذا دليل على مدى تأثـره بتقاليد الشرق العربي[1]. (أنظر الملحق رقم 06، ص 124) .

ارتدى الملك الفرنسي هنري الشامبني أيضا القباء والبرنوس التي أرسلها اليه صلاح الدين ، ففرح بها الملك الفرنسي ولبسها في سبيل اظهار الود والصداقة على الرغم أنه لا يدين له بالولاء وقال له ملك الفرنسي "أنت تعلم أن لبس القباء و الشربوس عندنا عيب وانا والبسها منك محبة "[2]، اما السيدات الصليبيات فاتبعن الزي المشرقي التقليدي، وارتدت الواحدة منهن قميص مرسل طويل الى القدمين، وسترة قصيرة او رداء بكمين و كلما موشاة بخيوط الذهب واحيانا الجوهر وفي الشتاء ارتدت المرأة الصليبية الفراء مثلما يفعل زوجها ، وضربت الخمار على وجهها [3].

ترتب على طول اقامة الصليبين بالشام ومجاورهم للمسلمين اكتسابهم الكثير من الذوق الشرقي والأطعمة. والاشربة وخاص السكر والتوابل، حيت من الفرنجة عرفوا السكر لأول مرة في حياتهم في بلاد الشام ليحل محل عسل النحل الذي لم تعرف أوروبا وسيلة غيره لتحلية الطعام وعمل القهوة العربية التي صارت شراب غالبيتهم.[4]

---

[1]محمود محمد الحويري ، المرجع السابق، ص 244.

[2] ابن الاثير الكامل ، المصدر السابق ج9، ص213.

[3] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص509.

[4]محمود محمد الحويري ، المرجع السابق، ص245.

تاثر الصليبيون في بيت المقدس بالعادات المتعلقة بالأطعمة، فسكان بيت المقدس كانوا يخبزون الأرغفة على الحصى في الأفران التي توقد بيوت الحيوانات، كما أنه كانوا يصنعون العدس وغيره ويملحون الترمس ويكثرون من اكله، ويصنعون الزلابية في شتاء.(1)

يذكر أسامة ابن المنقذ أن أحد أصحابه ذهب الى مدينة انطاكية الصلبية، فنزل في بيت أحد الفرسان الصليبين الأوائل ثم أعفي من الخدمة العسكرية وصار له ملك يتعيش منه وعندما نزل أسامة عنده مائدة حسنة وطعاما في غاية النظافة والجودة ولكن صديق أسامة أمتنع عن الأكل، فقال له الفارس الصليبي " كل طيب النفس، فانا ما أكل من طعام الإفرنج ولي طباخات مصريات ما أكل إلا من طبيخهن، ولا يدخل داري لحم خنزير". (2)

أخذوا من السكان الأصليين أكل القشدة واللبنة التي يتقنها سكان الأرض المقدسة (3) وكذلك جميع أنواع المخللات ومطاحن مغيرة للفلفل، واستخدموا الاواني العربية مثل الملاعق، والغلايات وغيرها في صنع الطعام واستخدموا كذلك زيت الزيتون طهي الطعام بدلا من استخدام الزبد ودهن الخنزير.(4)

أعجب الصليبيون بالعادات بلاد الشام في الحمامات العربية فتأثروا بها ، والمعروف أن وظيفة الحمام في مجتمع العصور الوسطى لم تقتصر على الاستحمام فقط بل امتدت الى الخلافة وازالة الشعر من الجسد(5)، وتعدد الحمامات في العصور الإسلامية ، إنها تعتبر من أهم المؤسسات الاجتماعية في الإسلام فله مكانة وعادة الاستحمام من العادات الهامة في المجتمع الاسلامي لأنها مظهر من مظاهر الطهارة ، والنظافة التي يعض بها الاسلام و المسلمين (6)، وكان في كل حمام موظفون يقومون على خدمة المستحمين ، وتنظيف

---

(1) المقدسي البشاري شمس أبو عبد الله، (ت 375هـ/983 م)، احسن الأقاليم في معرفة الأقاليم، قدمه، وضع حواشيه ، محمد مخزوم ، ط1، دار احياء التراث، بيروت ، 1987 م، ص 175-176.

(2) ابن المنقذ ، المصدر السابق، ص 246.

(3) Prawer.J: The Latin Kingdom of erusalem, London, P. 493.

(4)يوشع براور ، الاستبطان الصليبي، المرجع السابق، ص 617-618.

(5) محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 245.

(6) أبن الأخوة ضياء الدين محمد ،معالم القرية في أحكام الحسبة، عن وضع حواشيه ، ابراهيم شمس الدين ، ط1، الكتب العلمية، بيروت ، 2001 م، ص66.

الحمام، ويستعملون البخور كما يراعى عدم دخول المرضى ، وعلى كل مستحم ان يغطي عورته [1]، وبهذا الصدد أشار المقدسي إلى أن مدينة طبرية كان لها ثمان حمامات[2] وتحتوى أيضاً على فنادق جميلة، و مختلف الحمامات الانيقة [3].

أستخدم كذلك الصليبيون الطراز الشرقي في العمران وزودوا بيوتهم بالأثاث الشرقي واستخدموا الزجاج في نوافذ بيوتهم ورسموا بالفسيفساء على ارضيات الحجر في منازلهم وكذلك أخذوا عن الشرق بطراز قباب القلاع المختلف [4].

تجلت المودة بن المسلمين والصلبين كذلك في اوقات السلم ادت الى نشوء صداقات بين رجال والفرنجة وأخرين من المسلمين حتي لنرى رجالا من الفريقين ينادى على منهما صاحبه بأخي وذلك لتمكين صلات المودة بينهما[5] ، ونشهد على ذلك من قصة الصداقة التي قامت أسامة بن المنقذ واحد الفرسان الصلبين، وفي هذا يقول " كان في عسكري الملك فلك بن فلك فارس محتشم أفرنجي قد وصل من بلادهم يحج ويعود ، فانسى بى و صار ملازمي يدعوني أخي، و بيننا المودة والمعاشرة، اريد ان نفذ معي ابنك الى بلادي ، لينعم العقل و الفروسية"، ولكن أسامة اجاب بلباقة ولطف ان جدته شديدة الكلف به، فلا يستطيع.[6]

---

[1] ابن الاثير، الكامل في التاريخ. المصدر السابق، ج9. ص219.

[2]ستيفن رنسيمان. المرجع السابق. ص509.

[3] نفسه، ص509.

[4] يوشع براور، عالم الصلبيين، المرجع السابق، ص 108 109.

[5] محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص248.

[6] ابن منقذ، المصدر السابق، ص 135- 136 .

الفصل الثالث: أثر الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام على الحياة الدينية خلال قرن 5 و6هـ/ 11 و12م

المبحث الأول: السنة والشيعة الإمامية في مواجهة الفرنجة

المبحث الثاني: السنة والشيعة الإسماعيلية في مواجهة الفرنجة

المطلب الأول: العلاقة مع الخلافة العباسية

المطلب الثاني: الفاطميون بين البويهيين و العباسيين

المبحث الثالث: نشاط الهيئات الدينية الصليبية في بلاد الشام

المطلب الأول: تعريف هيئة الفرسان الاستشارية (فرسان القديس يوحنا)

المطلب الثاني: النشاط الديني لهيئة الإسبتارية

المطلب الثالث: هيئة الداوية

المطلب الرابع: امتيازات الهيئات الدينية

المبحث الرابع: الحياة الدينية للصلبيين في بلاد الشام

المطلب الأول: الحياة الدينية للصليبيين في الإمارات الصليبية

المطلب الثاني: التنصير المسيحي خلال الحروب الصليبية

المبحث الأول: السنة والشيعة الإمامية في مواجهة الفرنجة

أثرت الحملات الصليبية كثيرا في الخارطة الطائفية و المذهبية لبلاد الشام ، و جعلت السنّة و الشيعة الإسماعيلية يدركون ما يجمعهم أكثر مما يفرقهم في النهاية حيث دفعتهم الحروب إلى الوحدة والعمل المشترك سياسيا وعسكريا ، وقد تجسدت روح الوحدة بين الطرفين في طرابلس وحلب في مقاومة الحملات الصليبية ، اذ كان أول احتكاك بين الفرنجة وقادة طرابلس مع جيش ريموند صنجيل الذي يعد من أبرز القادة الصلبيين الذين شاركوا في السيطرة على أنطاكية وهذا ما جعله يفكر في تأسيس إمارة تتحكم في الطريق الساحلي و كان هدفه الاستيلاء التوسع في المدن الساحلية وتأسيس إمارة أخرى بجنب إمارة أنطاكية وهي إمارة طرابلس التابعة لبني عمار [1].

انتهج القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس سياسة مرنة اتجاه الصليبين أثناء مرورهم بإمارته في طريقهم لبيت المقدس ، فقام بتنبيه بلدوين الأول وحذره من الكمين الذي نظمه له سلاجقة دمشق ولكن عندما استولى ريموند الصنجيلي على طرطوس وهدد طرابلس قرر فخر الملك خوض الحرب للدفاع عن أراضيه حيث استنجد بالقوى الإسلامية القريبة منه ، ولم يذكر المؤرخون تفاصيل هذه المعركة إلا أنها باءت بالفشل حيث قتل سبعة آلاف من المسلمين وتمكن صنجيل من حصار طرابلس[2] إلا أنه لم يتمكن من اقتحامها ، وقام ريموند بكتير من المحاولات في شن الغارات عليها إلا أنها ضلت صامدة ، وعندما غاب فخر الملك إلى بغداد قام أعيان المدينة بطلب المساعدة من الدولة الفاطمية وبذلك خرجت طرابلس من قبضة بني عمار إلى الفاطميين إلا أنهم كانوا ضعفاء ولم يستطيعوا الدفاع عن طرابلس وحمايتها حيث سلمت المدينة للصلبين اللذين دخلوها في

---

(1) محمد بن مختار الشنقيطي، اثر الحروب الصليبية مع العلاقات السنية والشيعية, ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016م، ص ص. 137-141.

(2) محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام، (297-567هـ/910-1171م)، ط2، دار النفائس، بيروت، 1428هـ-2007م، ص 451.

(11 ذي الحجة/12تموز) وسمح للقائد الفاطمي الخروج من طرابلس سالما مع جماعته.[1]

أظهرت تلك الأحداث أن سيطرة الفاطميين على طرابلس سنة(501هـ/1107م) كان لها دور في تسهيل احتلال الصلبيين لها ، إذ لو بقيت طرابلس في يد بني عمار لكان أفضل للمسلمين ومنعها من السقوط في أيدي الصلبين أو تأخير سقوطها لفترة من الزمن إذ أن فخر الملك كانت له سياسة مرنة في التعامل مع القوى الإسلامية في بلاد الشام ، وبالتالي فإن الحلف لإمامي لم ينقد طرابلس من السقوط في جنوب الشام[2] ، إلاّ أنه كان أكثر صلابة في شمال الشام أين ظهر التعاون السني الإمامي في حلب ضد الفرنجة على الرغم من خسارة الشيعة الإسماعيلية للقيادة في حلب ، وقد بدأت مظاهر الوحدة السنية الإمامية في مقاومة الفرنجة بحلب عام (503هـ/ 1110م) . [3]

تمثل الهدنة بين الشيعة الإمامية والسنة من الظواهر المهمة في فهم العلاقات السنية الشيعية خلال الحقبة الصليبية ذلك أن التشيع الإمامي في بلاد الشام لم يكن منافسا سياسيا للخلافة العباسية أو الأمراء الأتراك في بلاد الشام حيث كانت الإمارات الشعبية في بلاد الشام متسامحة مع السنة إلى حد كبير[4] ، ومن هنا نجد أن العلاقات السنية الشيعية وكذا أمراء السنة والشيعة لأول مرة يتعاونوا ضد الفرنجة على الرغم من ضعف جيوشها وهي بداية الانتقال من الأنانية السياسية إلى الوحدة.[5]

---

[1] محد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص ص 452-454.

[2] الغامدي مسفلر، الجهاد ضد الصلبين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، ط1، دار المطبوعات الحديثة، جدة، 1406هـ/1986م، ص 91.

[3] محمد بن المختار الشنقيطي، المرجع السابق، ص ص 156،157.

[4] الشنقيطي، المرجع السابق، ص 140.

[5] المرجع نفسه، ص 148.

المبحث الثاني: السنة والشيعة الإسماعيلية في مواجهة الفرنجة

عندما بدأت الحروب الصليبية كان التشيع الإسماعيلي في انحسار سياسي وفكري خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي ، حيث كانت الدولة الفاطمية في أفول[1] وتعاني من التفكك والانحلال بسبب سوء الحالة السياسية و ضعف خلفائها وتنازع الوزراء على الحكم كما أن العداء المذهبي بين المسلمين أدى إلى تفرقهم مما ساعد الفرنج للوصول إلى أطماعهم بسهولة ، إذ كان الاختلاف بين الدولة العباسية السنية وبين الدولة الفاطمية الشيعية التي بسطت سلطانها على مصر وجانب كبير من الشام والساحل واضح للعيان ومكشوف للأعداء حيث عاد الفاطميون السلاجقة وكانوا يعتقدون أن الصليبيون في الشام سيكونون حاجزا لزحف السلاجقة إلى مصر (107هـ 1010م) و كانت الخلافة الفاطمية في هذه الفترة منشغلة بانتزاع الزعامة من الخلافة العباسية وإحلال المذهب الشيعي بدلا من السني مهدت هذه العوامل الطريق للقضاء على الدولة الفاطمية (567هـ 1171م) وانتقال الحكم إلى صلاح الدين الأيوبي حيث انتقلت مصر إلى مرحلة جديدة [2].

عندما تأسست الإمارات الصليبية الأربع في المشرق الرها، أنطاكية والقدس وطرابلس أصبحت الدولة البيزنطية محاصرة من طرف الكاثوليك والنورمانيين غربا وإمارة أنطاكية الفرنجية شرقا، ومن جهة أخرى كانت الدولة الفاطمية محاصرة بين القوى السنية في شمال إفريقيا والقوى السنية في الشام والعراق[3] ، وبالتالي فقد مرت السياسة الفاطمية تجاه الفرنجة بثلاث مراحل، مرحلة الاستفادة منها والتقرب إليها، ومرحلة مواجهتها ومرحلة الاستقراء عليها فعندما وصلت جحافل الصليبيون إلى أنطاكية ضد الفاطميون أنهم مجرد مرتزقة أرسلهم الإمبراطور البيزنطي للتحرش بالقوى الإسلامية في الشام ولم يعرفوا أنها قرى كانوا ليست مستقلة دينيا وسياسيا وبالتالي فإن الفاطميون لم يعرفوا دوافع لحركة الصليبية حيث أن

---

[1] محمد بن مختار الشنقيطي، المرجع السابق، ص 187.

[2] أسامة زكي زيد، الصلبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري، د ط، الهيئة المعرفية العامة للكتاب، الإسكندرية 1980، ص 111

[3] محمد مختار الشنقطي، المرجع السابق، ص 188.

المسلمون في الشام ومصر والعراق لم يعرفوا المتحولات الدينية والسياسية حيث تعامل الفاطميون مع الحملة الصليبية الأولى وساءت العلاقة بينهم وبين أهل السنة في الشام والعراق وبالتالي فأن التواصل بين الفاطميين والصليبين كان بسبب الاختلاف السياسي والمذهبي بين السنة والشيعة حيث تحالف الفاطميون مع الصلبين للضغط على القرى السنية التركية[1].

استقبل الصليبيون الفاطميون بحفاوة كبيرة ووقعا الطرفان الفاطميين اتفاقية الصداقة التي كانوا يبحثون عنها تنص على تكون أنطاكية للصلبيين وبيت المقدس للفاطميين وترتب عن هذا الخلاف المذهبي الخطير الاستنجاد بالفرنجة في الشام ضد بعضهم البعض وهذا الأمر الذي هيأ لقيام علاقات بين الصليبيين وبين الإسماعيلية وقد عاش الصلبيون وإسماعيلية الشام نوعا من الاستقلال ، أما بالنسبة للسلاجقة فقد أصبحت دولتهم في حالة فوضى وانقسام سياسي وبدأت تنقسم ممتلكاتهم إلى وحدات سياسية صغيرة وخاصة في بلاد الشم بعد وفاة السلطان مكلشاه.[2]

بدأت عوامل الضعف تظهر في الدولة السلجوقية وهي من الأسباب التي أدت إلى تنافس الأمراء على عرش السلطة السلجوقية مما حدث انقسام كبير في كيان الدولة وخاصة التنافس اللذي بين بركياروق (485-198هـ/ 1092-1104) الابن الأكبر للسلطان ملكشاه و والدة أخيه الأصغر محمود (485-487هـ/ 1092-1094) حيث انقسم السلاجقة إلى فريقين متنازعين كل طرف يجهز لعداء للطرف الآخر للوصول إلى السلطة[3] ونتيجة لهذه الفروق دخل الأمير تتش للمنافسة على السلطة مستغلا العزوف للحصول على تأييد الخلافة[4] .

---

(1) محمد مختار الشنقيطي، المرجع السابق، ص 190.

(2) أسامة زكي زيد، المرجع السابق، ص 112.

(3) علي محمد الصلابي، دولة السلاجقة، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2006، ص 151.

(4) ميسون هاشم مجيد، أوضاع بلاد الشام فيل الحروب الصليبية (460-490هـ/ 1067-1097)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1994، ص 30.

واصل الفاطميون جهودهم لاستفادة نفوذهم في بلاد الشام حيث حاولوا الاستفادة من انتقام السلاجقة حيث أتبع الخليفة المسعى بالله سياسة جديدة تهدف إلى كسب قسم من السلاجقة في بلاد الشام إلى جانبه فأرسل علم (490هـ-1096م) كتابا إلى الأمير رضوان يلتمس منه الدخول إلى طاعته وإقامة الدعوة لدولته فأمر الأمير رضوان بأن يخطب للمستعلي بالله الفاطمي على المنابر.[1]

كان هدف الأمير رضوان من إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي جلب الاستعانة بعساكر الفاطميين لأخذ مدينة دمشق من أخيه الأمير دقائق حيث اتفق أن تقام الخطبة باسمه واستمر في إقامة الخطبة الفاطمية حتى أقبل عليه الأميران سيقيمان أرتق والأمير ياغي سيان إذ أنكر وهذا العمل وأعاد الخطبة للخليفة المستظهر بالله بعد أن قطع الخطبة عن الفاطميين[2] ، إلا أن الدافع الحقيقي في تراجع الأمير حذوه عن الاستمرار بإقامة الخطبة الفاطمية هو تأسيسه في الحصول على المساعدات الفاطمية في الاستيلاء على دمشق.[3]

كانت وفاة السلطان ملكشاه و مقتل الأمير تنش البداية الفعلية لنهاية نفوذ الدولة السلجوقية في بلاد الشام حيث ضعف نوابها واستقل الكثير منهم بعد أن تغلب على أمورها الأمراء فضلا على استمرار النزاع بينهم وبين الفاطميين كما ضعف قوى الطرفين وبالتالي ضعف القوى الإسلامية مما مهدا الطريق أمام الصلبين للزحف والاستيلاء عليها[4].

المطلب الأول: العلاقة مع الخلافة العباسية

1- تأسيس الدولة البويهية :

ظهر بنو بوية في القرن الرابع الهجري والذين اعتنقوا المذهب العلوي الزندي، وأسسوا دولة انفصالية وبسطوا هيمنة فعلية في العراق عظم نفوذ هذه الأسرة واشتهرت من بين الإخوة البويهيين الثلاثة علي بن شجاع بنى بويه الذي أسس الدولة البويهية في فارس حيث أرسل

(1) إبن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص 135.

(2) نفسه، ص 133.

(3) نفسه، ص 133.

(4) نفسه، ص 133، 134

إلى الخليفة العباسي بطلب الاعتراف بسلطانه وأرسل أخاه حسن إلى أصفهان والري وهمذان و استولى على الأهوار ، وكانت الحالة السياسية مضطربة في العراق بفعل اشتداد العلاقات بين ابن رائى وأمير الأمراء من جهة أخرى ، وكانت الخلافة العباسية تحت نفوذ الأتراك وظهر عجزها في التحكم في العراق هذه الأوضاع المتردية دفعة الخليفة العباسي بطلب المساعدة من البويهين.[1]

المطلب الثاني: الفاطميون بين البويهيون والعباسيون

كان العراق محط أنظار الفاطمية وخاصة عند دخول البويهيين بغداد عام (334هـ/945م) واستبدادهم السلطة وتجريد الخليفة العباسي من كل امتيازاته السياسية والعسكرية وشاركهم أيضا في مظاهر سيادتهم الدينية[2] ، حيث أن البويهيون دخلوا بغداد حاملين روح العداء للخلفاء العباسيين لأنهم مخالفتهم في المذهب ، وكان هدفهم إلغاء الخلافة العباسية وإقامة خلافة شيعية وتنصيب الزعماء الزيديين[3] ، ذالك أن البوهيون كانوا يعتبرون العباسيون مغتصبي للخلافة من أصحابها الشرعيين وهم العلويين لذلك كانوا ينحازون للفاطميين ، وقد حرص البويهيون على الاحتفاظ بنفوذهم السياسي في العراق وحاولوا التقرب من الخلفاء الفاطميين[4] حيث تبادلت الرسائل بين الخليفة الفاطمي العزيز بالله (365-386هـ/ 975-996م)، وعضد الدولة بن ركن الدولة البويهي (367-372هـ-977-982م) وما أن وصلت هذه الرسالة إلى عقد الدولة حتى اعترف هذا الأخير بإمامة الخليفة الفاطمي ، ولكن عندما وصلت الرسالة إلى الأمير البويهي حتى أرسل رده في كتاب

---

(1) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 250.

(2) سرور محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964م، ص 78.

(3) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 251.

(4) جمال الدين علي بن ظاهر الأسيدي، (ت613هـ-1216م)، أخبار الدول المنقطعة لدراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطمين تقديم وتحقيق أندرية قرية، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1972م، ص33،34.

يعترف فيه بفضل أهل البيت وأقر للعزيز أنه من أهل النابعة الظاهرة وخاطبه بالحجرة الشريفة[1] .

كان العزيز بالله الفاطمي يراقب الأحداث والأوضاع في العراق وبلاد الشام بدقة لينتهز فرصة تحقيق أحلام الفاطميين في السيطرة على العراق ونشر الدعوة الفاطمية إذ كان توسيع دائرة نفوذه في بلاد الشام حيث يسهل عليه القضاء على الخلافة العباسية فأنتقل تمرد أحدثوا الحمداني يدعى بجكور والذي قام بإعلام ولائه للفاطميين من أجل الوصول إلى السلطة حيت أرسل كتاب إلى العزيز بحيث على استيلاء مدينة حلب نظرا لأهميتها الجغرافية جلالة حلب وكثرة ارتفاعها، وأنها دهليز العراق وإذا حصلت له كلان ما بعدها في يده.[2]

تبدلت العلاقة بين عضد الدولة والعزيز حيث ذهب الأول لتجهيز قواته لغزو مصر واستردادها من يد الفاطميين حيث تبين له حظر الدولة الفاطمية على النفوذ البويهي وكتبه على أعلامه« بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين الطائع لله أمير المؤمنين ادخلوا مصر إن شاء الله أمنين...» حيث استغل في هذه المناسبة التشكيك في سب الفاطميين ودعا إلى ....في بغداد غير أن الفاطميين لم يدخلوا... في نشر الدعوة الفاطمية في العراق فقامت الدعوة لهم في الموصل على يد أميرها أين الدرداء محمدين المسبب بن رافع بن المقلد العقيلي.[3]

---

(1) جمال الدين علي بن ظافر الأسيدي، المصدر السابق، ص.ص.33-34.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص.ص.33.36.

(3) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 253.

المبحث الثالث: نشاط الهيئات الدينية الصليبية في بلاد الشام

المطلب الأول: تعريف هيئة الفرسان الاسبتارية (فرسان القديس يوحنا)

الاسبتارية هي أولى الهيئات الدينية العسكرية التي قامت في فلسطين، أسسها جماعة من المواطنين الأمالفين الأتقياء عام (492هـ/1070م)[1] عندما استأذنوا والى بين المقدس الفاطمي لإنشاء دير في البيت المقدس تقرر تدشين الدار باسم القديس يوحنا والتي تحولت فيما بعد إلى مراكز فرقة الإسبتارية[2] .

وبوصول الصليبية إلى بيت المقدس قرر جيرارد مدير المستشفى وحاميها المخاطرة بحياته ودل الصليبية على مواصلات وخطوط المسلمين فشك فيه الحاكم الفاطمي وأمر بسجنه[3] ، وعندما استولى الصليبية على بيت المقدس أطلق سراح جيرارد وأصبح مستشفاه محل ثقة الحجاج الصليبية حيث أصبح مقر الهيئة الرئيسي لمستشفى القديس يوحنا وأعتبر الميلاد الحقيقي لمنظمة القديس يوحنا بعد استيلاء الصليبية على بيت المقدس عام (1099-492هـ) حيث كانت هذه المنظمة تقوم بخدمة الحجاج ومرضاهم وخلال سنوات قلائل تطورت لتصبح منظمة دينية دولية ضخمة باسم الإسبتارية[4] .

تحول فرسان الإسبتارية ببطء شديد من مؤسسة مكرسة للعناية بالحجاج الفقراء إلى أخوية عسكرية حيث أن البابوية عارضة هذا التحول[5] وكان إسبتار القديس يوحنا من أقوى المؤسسات في سوريا اللاتينية حيث لعب الإسبتار دور هاما في حكومة مملكة بيت

---

[1] طقوش سهيل، تاريخ الحروب الصليبية حروب الفرنجية في المشرق (589-690م- 1096-1291م)، ط1، دار النفائس، 1432-2011، ص 240.

[2] ليلى آزار، المملكة اللاتينية في بيت المقدس في عهد بلدوين الأول (493-512هـ/1100-1118م) رسالة لنيل شهادة الماجستر الوسيط، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 46.

[3] محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 57.

[4] محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 57.

[5] جوناتان ريلي سميث، الإسبتارية القديس يوحنا بيت المقدس وقبرص، (1050-1310)، تر: العميد الركن صبحي الجابي، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1979، ص 15.

المقدس[1] حيث أرخ جميع مؤرخي الحروب الصلبية أهميتها وكانت الأخوية عنصرا مستقلا داخل الدولة لها سياستها الخارجية الخاصة بها وغالبا ما كانت المصلحة تتعارض مع احتياجات المسيحية في الأراضي المقدسية.[2]

وكذلك يظهر تثبيت بلدوين لممتلكات الإسبتار حيث كان سخاء الكنيسة ينافس السخاء الملكي وفي عام 1112 استثنى بطريريك بيت المقدس وكذلك رئيس أساقفة سارية المدعو أفرمان avrmar أحد العاملين في الإسبتار من ضريبة العشر حيث أن الكنيسة خصته بتأييد ملكي[3] ففي سنة 1113 أصدر البابا سكال الثاني وثيقة بتكوين المنظمة اعتبرت تلك الوثيقة تأسيس حقيقة للهيئة إذ وضعها في المرتبة التي حظيت بها الهيئات الدينية الكبرى كما نال الباباوات حماية بمقتضاها ومنحت لهم ممتلكات في بلاد الشام وأعفو أيضا من دفع الضرائب.[4]

المطلب الثاني: النشاط الديني لهيئة الإسبتارية

بدأ أعضاء هيئة الفرسان نشاطهم بتقديم أنواع المساعدة للمرضى و المحتاجين من الحجاج المسحيين حيث كانت هذه الرعاية تمثل دورا دينيا وكانت الأعمال الخيرية التي يقوم بها أعضاء الهيئة تشغل حيز كبيرا من القوانين الأخلاقية المسيحية حيث اعتبروا أعمال الخير والإحسان أولى مهامهم والتزاماتهم[5] وكان الهدف من وجود الأخوية هو رعاية المرضى الفقراء حيث كان الرهبان هم خدم الفقراء وكانت الحياة من إسبتارية بيت المقدس منظمة بواسطة طقوس دينية متقنة[6] حيث كرس الإسبتارية عملهم للخير والقيام بالتفريج

---

(1) المقدس: تقع على ربوة عالية في قلب فلسطين ذات مرتفع مميز تعتبر تعز الشام للقادم إليها من مصر وبوابة مصر للقادم إليها من الشام ومفتاح فلسطين كلها، نظر ياسين السويد، حروب القديس في التاريخ الإسلامي والعربي، د.ج، ط1، دار المتلقى ببيروت 1997، ص 12.

(2) جوناتان ريلي سميث، المرجع السابق، ص ص 16،17.

(3) جوناتان ريلي سميث، المرجع السابق، ص44.

(4) محمد محمد الحويري، المرجع السابق، ص 59.

(5) سوشع براور، الإستطان الصلبي، ص ص 305-306.

(6) جوناتان ربلي سميث، المرجع السابق، ص 54.

عن المحتاجين حيث بدءوا نشاطهم بشكل متواضع وأصبح بيتهم المأوى الخاص بالمعنويات والإحسان واحتذوا حذو حواري الرب[1] وبسبب السمعة الحسنة التي شهدتها هذه الهيئة قام عدد كبير من الرجال والنساء بتقديم ممتلكاتهم إليها من أجل خدمة المرضى والفقراء ورعايتهم[2] .

وقاموا بإسهامات هامة في تنظيم العناية بالفقراء والمرضى حيث اتجهوا إلى مبادئ الطهارة القديمة ولحماية الإسبتارية أهمية خاصة حيث أن الإسبتارية الأوائل المقيمون في الشام العمل في المستشفيات ودار الضيافة من أجل خدمة الحجاج الكاثوليك عاصرو الأزمات السياسية الحرجة وكانت هذه الأزمات السبب في نجاح الحملة الصليبية الأولى وفضلا عن ذلك فإن الإسبتارية من مهدوا الطريق لنشأة الرهبان المحاربين في الشام من أجل حراسة الحجاج الصلبين اللذين هم في طريقهم للأراضى المقدسة[3] .

وتمثل أيضا نشاط هيئة الفرسان بتقديم المساعدة للمرضى والمحتاجين وكانت هذه الرعاية تمثل دورا مهما في حياة المملكة الصليبية وقد كانت طائفة فرسان القديس جون تختلف عن الطوائف الدينية في أوربا ولم تشبه أي مؤسسة أوروبية حيث أن فرسان الإسبتارية ارتبطوا بأعمال الخير التي كانت تشغل حيزا كبير من مجموعة القوانين الأخلاقية حيث كانت توزع الصدقات بنوع من الكينية والتلطف[4] وقد كان الهدف الأول للإسبتارية هو علاج المرضى

---

[1] سهيل زكار، المرجع السابق، ص 390.

[2] محمود الحويري، المرجع السابق، ص 58.

[3] جوناتان ريلي سميت، المرجع السابق، ص 7-12.

[4] يوشع براور، الاستيطان الصلبي في فلسطين، المرجع السابق، ص 36.

وإيواء الحجاج ولم يلبث الإسبتارية إلى أن دخلوا لواء النظام البنكي[1] وصاروا يتبعون البابا مباشرة.[2]

المطلب الثالث: تعريف هيئة الداوية:

الداوية لفظة عربية نسبة إلى محراب داود تأسست عام (512هـ-1118م) ويرجع تأسيس هذه الهيئة[3] بعد وفاة الملك بلدوين حيث برزت مشكلة حماية الحجاج الفرنجة في طريقهم إلى يافا في بيت المقدس ففي ذالك العام خرج فارس جندي يحكي هيودي باين متجها إلى بيت المقدس لأداء فريضة الحج فشاهد ما يعانيه الحجاج المسحيين من الهجمات من طرف المسلمين فقرر أن يكرس حياته لحماية الحجاج المسحيين وسرعان ما انظم إليه عدة فرسان إلى أن وصل عددهم إلى ثمانية وعاهدوا الله على العفة والطاعة على طريقة الرهبان وأطلقوا على أنفسهم أتباع المسيح الفقراء[4] .

خضع الداوية في البداية للنظم البنكية مثل الإسبتارية حيث أصبحوا طائفة مستقلة تمت صياغة عقيدتها بشكل نهائي في (522هـ – 1128م) تألفت الهيئة من ثلاث طبقات (الفرسان الأجناد رجال الدين،) واتخذ أعضاؤها الصليب الأحمر شعارا لهم حيث أتخذه الجند على أرديتهم السوداء[5] وقد كانت المهمة الأساسية للداوية هي حماية الحجاج المسافرين في أنحاء الأرض المقدسة وكانوا في قيامهم بهذه المهمة يلبون حاجات الحجاج بيد أن الطرق لم تكن آمنة في مملكة بيت المقدس عقب الحملة الصليبية الأولى.[6]

---

(1) النظام البندكي: نسبة إلى مؤسسة القديس بنكت بحيث يحتل أكبر قوة فعالة في الحياة البرية في العصور الوسطى ابتعد النظام البنكي عن فكرة الرهبانة الانفرادية التي عرفها الشرق، وكان أعضاء الدير أن يظلوا مدى الحياة مرتبطين بالمجتمع الديري اللذين دخلوه مختارين أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج2، 1959، ص.ص 27-28.

(2) محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، د ط، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص 112.

(3) محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 66.

(4) المرجع نفسه، ص. ص 66.67.

(5) سهيل طقوش، تاريخ الحروب، ص 241.

(6) جوناتان ريلي سميث، المرجع السابق، ج2، ص 7.

وقد شكلت هيئة فرسان الداوية مجموعة صغيرة من الرهبان لتصبح هيئة عسكرية بشكل مذهل وكانت المهمة الرئيسية لفرسان الداوية في بلاد الشام تتمثل في حماية الحجاج المسحيين اللذين يمرون من البحر المتوسط إلى القدس وقد كان الغرض الرئيسي إنشاء هيئة فرسان الداوية هو استقرار الأمن الداخلي وقوة الشرطة وحماية الحجاج الوافدين إلى الأرضي المقدسة ثم تحولت وظيفة الداوية من حماية الحجاج المسحيين إلى الدفاع عن المملكة الصليبية حيث أصبح الصليبون يعتبرون أنفسهم حجاج [1]وانهالت الهبات على الداوية وحازت هذه الأخيرة على ....والعقار وأصبحت لها ممتلكات ضخمة في الشام وفي الغرب الأوروبيين أيضا: فرنسا وإنجلترا وإيطاليا[2] وامتلكت الداوية أيضا في بلاد الشام العديد من القلاع: طرطوس وتورون و شاستيل بلاه وصافيتا وقلعة الحاج.[3]

ومما يذكر أيضا أن فرنسا الداوية كانت لهم أملاك واسعة في أوروبا كما أنهم أصبحوا من أشهر رجال البنوك في أوروبا ومع انتشار البيوت المالية التابعة للداوية في أوروبا ازدادت قوة نفوذهم بسبب وضعهم الديني واستعدادهم المستمر للدفاع عن المملكة الصليبية وبالتالي فإن نشأة الهيئات الدينية والعسكرية لم تقم بها الدولة أو الكنيسة دمج مرور الوقت أصبحت هذه الهيئات قوية على الرغم من أن الدولة والكنيسة استأنفتا هذه الهيئات الدينية والعسكرية ومع تطور [4] هذه الهيئات أصبحت تمثل قوة تهديد الكنيسة في المملكة اللاتينية وأصبحت تقدم القوة والمساعدة للكنيسة وقد ساهمتا هذه الهيئات الدينية والعسكرية بشكل كبير في زيادة قوة الدولة إلا أنها لم تكن ضمن مؤسسات الدولة.

---

(1) يوشع براور، الاستيطان الصيبي في فلسطين، ص 311.

(2) محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 67-68.

(3) يوشع براور، المرجع السابق، ص 318.

(4) يوشع برازور، المرجع السابق، ص 311.

المطلب الرابع: الامتيازات التي تمتعت بها الهيئتان (الإسبتارية والداوية):

منحت البابوية الإسبتارية والداوية الكثير من الامتيازات نذكر منها:

– عقد العديد من الاتفاقيات مع المسلمين دون الرجوع إلى مملكة بيت المقدس ولم تعتمد هذه الهيئات على التبعية للبابا مباشرة مما أصبحت تشكل دولة داخل دولة.[1]

– خلص أساقفة المستوطنة اللاتينية الإسبتار من دفع ضرائب العشر وقد اتضح الك في الهيئات خاصة من ضرائب العشر التي منحتهم إياها الأساقفة كذلك أصبح يتمتعون بالحقوق التي كانوا يتمتعون بها في أوروبا حيث عفي بطريريك بين المقدس من ضريبة العشر من قبل المرسوم البابوي.[2]

– حاز فرسان الإسبتارية على ممتلكات زراعية أكبر من ممتلكات فرسان الداوية حيث أن الإسبتارية تبقيها زمنيا إضافة إلى المنح والهيئات التي كانت تقدما لهذه الهيئات الدينية وكان من الأمور الخيرية هو منح صيغة للهيئة الدينية من أجل رعاية المرضى والمحتاجين دون أن تتلقى مقابلها أي واجبات وسميت منحة الصدقات.[3]

– وفي عام 1112 قام بطريريك بيت المقدس الإسبتارية من دفع الضريبة الشعور حيت منحت لهم ممتلكات في الشام وأوروبا وأعفوا من دفع الضرائب وأصبح لهم الحق في انتخاب رئيسهم إذ تخلى عن منصبه[4].

– مارس الإمبراطور سرلمان واجباته كحامي للمسحيين في الأراضي المقدسة حيث كان يرسل لهم مبالغ ضخمة للحفاظ على الكنائس والأديرة وأهتم بالحجاج اللاتين وقد شيد من جلهم أبنية سمية بلاتينية.[5]

---

(1) محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 64.

(2) جوناتان ريلي سميت، المرجع السابق، ص 385.

(3) يونغ براور، الاستيطان العلمي في فلسطين، المرجع السابق، ص 315.

(4) محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 58.

(5) محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 56.

– وفي سنة 1130 انعقد مؤتمر في تولوز كان غرضه الوحيد المحدد هو لإعطاء الهيئات لجماعة الهيكل وهو عبارة عن وثيقة سجلت بها أسماء خمسة وأربعين متبرعا بحيث تراوحت هباتهم من كميات صغيرة من المال وفوائد الكنائس ومن بين ذالك التبرعات العلمية والحيوية.[1]

ومما سبق ذكره نجد أن هاتين الهيئتين الإسبتارية والداوية قد سدوا فراغا كبيرا في حياة الصلبين في الشام فمن الناحية الروحية كان هناك كثير من الأتقياء اللذين عاشوا حياة الزهد في ظل الكنيسة أو الدير حيث وجدوا ضالتهم في تلك المنضمات حيث جمعت بين حياة المتعبد وحياة المحارب.[2]

---

[1] ستيفن هوارت، فرنسا الهيكل القصة الأساسية تر: إبراهيم محمد إبراهيم، دج، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 77.

[2] عمران محمود سعيد، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 114.

المبحث الرابع: الحياة الدينية للصلبين في بلاد الشام

المطلب الأول: الحياة الدينية للصليبيين في الإمارات الصليبية

1. نظام الكنيسة في بيت المقدس

أعلن الصليبيون منذ بداية زحفهم في الغرب الأوربي تجاه الأرضي المقدسة في فلسطين أن هدفهم تحرير هذه الأراضي من المسلمين حسب زعمهم ولذلك حملوا شارة الصليب على صدورهم غير أن الهدف الحقيقي متناقض لما أعلنوه فعلى الرغم من وجود دوافع وأسباب عديدة ومن بين الأسباب التي شجعت الصلبين على المسير إلى الأراضي المقدسة والاستيلاء عليها رغبة الكنيسة اللاتينية الغربية في نشر الكاثوليكية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، حتى لو اضطرت إلى استعمال السلاح في سبيل تحقيق ذالك الهدف[1].

وضع الصليبيون هذه الفكرة صوب أعينهم حتى قبل وصولهم إلى الأراضي المسلمين وقرروا وضع أسقفية من دينهم على عرش الأسقفيات الأرتوذكسية في هذه البلاد ويتضح ذالك عندما استولى على اللذين الرملة في يونيو علم 1099م رجب عام 492هـ[2] حيث وجدوا الكرسي الأسقفي شاغر هناك، فعقدوا اجتماعا لانتحاب أسقف التبني للمدينتين وقد وقع الاختيار على روبرت روبن[3] من أجل تولى أسقفا للمدينين والمناطق المحيطة بهما 492-504هـ 1099-1110م.[4]

بعد مرور عدة أيام على انتخاب الأمير جودفرى بويون حاكما لمملكة بيت المقدس 492-493هـ/1099-1100م أختير رنولف مالكورن فسيس الدوق روبرت النورماندي بطوير القدس في الأول من شهر أب سنة 492هـ/1099م[5] ويعود سبب هذا الأخير أن بطر ....القدس قبل الاحتلال الصلبي ويدعى سمعان الأرتودكس كان قد ذهب إلى قبرص

---

(1) مصعب حمادي الزيدي، الصلبيون في بلاد الشام، المرجع السابق، ص76.

(2) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 114.

(3) روبرت روبن: أحد القساوسة النورماندين الذين اشتركوا في خدمة الصليبية الأولى، وهو بنتي إلى أسقفية روبن، ينظر: وليم الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 400.

(4) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 114.

(5) وليم الصورى، المصدر السابق، ص 449.

في مهمة دينية وصادف أن توفي هناك فضل كرسى البطر يركبه شاغر المدة خمسة أشهر[1] وقد أشار الشارترى إن الصلبين عقب احتلالهم للقدس لم يعينوا بط.......على اعتبار أن ذلك لا يكون في اختصاصهم وإنما من اختصاص البابا أوربان الثاني في روما.[2]

بعد مناقشات وقرر رجال الدين في كنيسة، وكذلك موافقة بابا روما التف الكاثوليك حول قيادة أرنولف الذي ينسب إليه كل شيء باستثناء التدين لأنه كان مشهورا بحياته المسفة وما كان بإمكانه أن يسلمو إلى رئاسة القدس إلى ونخبة لو لا رعاية الدوق روبرت، وبدأ المشكلة تتأزم بين أركولوف والأرثوذكسية ثم أمر باضطهاد زعاماتهم حينما رفضوا تسليم الصليب المقدس وبذلك انقلبت أفراح النصارى الشرقيين في الأراضي المقدسة أحزانا وهم الذين استقبلوا الجيوش الصلبين بالدموع والدماء.[3]

– بعد وفاة الأمير جود فيرى في 16 تموز سنة 493هـ/1100م ظهرت من جديد أطماع رجال الدين ورغبتهم في إقامة حكومة دينية في القدس وكان حكام الأمير جود فيري يمثل حلا وسطا بين النظام الملكي وحكم رجال الدين فيها ولذلك أثار موته مشكلة كبرى حول الوضع المقبل لدولة القدس ونوعية الحكم[4] وقد افرد الصوري في ذكر رواية مفادها أن الأمير جود فري صرح بأنه في حالة موته دون وجود وريث شرعي يخلفه في حكم الدولة الصليبية فإن جميع ممتلكاته تنتقل ملكيتها دون صعوبات إلى البطريرك دايميرت[5] وأن تنفيذ مثل هذه الوصية يعنى تحول الدولة الصليبية الناشئة في القدس إلى حكومة دينية ترتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بالكنيسة اللاتينية الغربية في أوروبا وهذا ما كان البطريرك دايمبرت يسعى للوصول إليه منذ أمد بعيد ومهما يكون من أمر لم يعش الأمير جود فري

(1) نفسه، ص 465.

(2) الشارتري، المصدر السابق، ص 77.

(3) مصعب حمادى نجم الزيادي، المرجع السابق، ص 77.

(4) سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنيسة في مملكة بيت المقدس 1099–1291م/492–690م، الشيماء للنشر والتوزيع، ط2، فلسطين، 2016م، ص 98.

(5) وليم الصوري، المصدر السابق، ص 467.

لينفذ وصيته إذ سرعان ما أعلن دايمبرت بعد وفاة جودفري أحقيته بمدينتي يافا والقدي بما فيها قلعة داود ويجب أن تسلم له حسب الوصية التي قطعها جود فري على نفسه.[1]

الحقيقة أن دايمبرت كانت لديه فرصة كبيرة في تحقيق هدفه بشكل حكومة دينية بعد وفاة المير جودفري لكنه أضاعها وذلك لسببين: الأول بقائه إلى جانب الأمير نانكرد هو تقبل أثناء حصار مدينة حيفا في رمضان سنة 493هـ/تموز سنة 110م[2] أما السبب الثاني تمثل بموقف مجموعة من رجال الدين الصلبين كان أبرزهم أرنولف مارلكورن وروبرت روبن ومعارضتهم لهذه الفكرة عن معارضة بعض القادة العسكريين مثل جالد يمار كاربينيل وغيره من أتباع الأمير جود فري ورغبتهم في قيام حكم ملكي وراثي في الأرضى المقدسة ولا سيما أنهم عهدوا جولاتهم إلى أمير الرها بلدوين الأول لأنه كان من بين الذين رشحهم جودفري ليتولى حكم البلاد من بعده[3].

انتهت أمال البطريرك دايمبرت بوصول بلودين الول إلى القدس قادما من الرها وإعلانه نفسه ملكا لدولة القدس الصليبية بموافقة جميع الزعماء الصلبين من دينتين وعسكريتين في يوم عيد الميلاد سنة 494هـ/1101م في كنيسة العذراء في مدينة بيت لحم بحضور البطريوك دابمبرات الذي وضع التاج على رأس بلدوين.[4]

– انقسمت بطريركية القدس في عهد الملك بلروين الأول إلى قسمين الأول: أيد رئاسة أونولف، أما القسم الثاني: فحاول بقاء دايمبرات وفي نهاية الأمر فاز أونولف بذلك المنصب للمرة الثانية بعد موجة مشاكل مرت بها كنيسة القدس منذ إقامة دايمبرات حتى احتلال أونولف سنة 506هـ/1112م وقد استمرت رئاسته إلى نهاية عهد الملك بلووين الأول.[5] (أنظر الملحق رقم07، ص 125)

---

(1) مصعب حمادى الزيادي، الصليبيون في بلاد الشام، المرجع السابق، ص 79.

(2) عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص 270.

(3) مصعب حمادى الزيادي، المرجع السابق، ص 80.

(4) سعيد عاشور، المرجع السابق، ص 276.

(5) مصعب حمادي الزيادي، المرجع السابق، ص 80.

أما عن المؤسسة الدينية المتمثلة بالكنيسة في بلاد الشام فقد كان لها أهمية كبرى في مجتمع أدعى أنه على أساس الدين وزعم أنه سعى لتحقيق أهداف دينية وقد بحث كثيرا ولم تفقد سوى القليل فبعد الغزو الصلبي واحتلال القدس مباشرة خلع الصليبيون أساقفة الكنيسة الأرتودكسية البيزنطية وعينوا أسقفهم الكاثوليك انطلاقا من نظرتهم بأنهم ليسوا هراطفة وإنما منشغلون عن كنيسة روما[1]. (أنظر الملحق رقم 08، ص 125)

كما طلبوا من رجال الدين الأرتودكس الاعتراف بالأساقفة اللاتينيين الجدد والخضوع لهم مما حال لخلق توتر دائم بين اللاتينيين والدولة البيزنطية اضطر على إثرها قسم من رجال الدين الأرتودكس إلى انسحاب نحو القسطنطينية بعد أن طردوهم من [...] بينما بقي القسم الآخر من المقاطعات الصليبية مضطرين إلى إعلان طاعتهم الاسمية اللاتينية.[2] كما قاموا بطرد رجال الدين الأرثوذكس من الكنائس الشرقية واستحوذوا على كل شيء ليظهروا جيشا كبيرا في امتلاك الأراضي والأموال والثروة الوفيرة فضلا عن اضطرار الأرتودكس إلى تقديم فروض الطاعة والولاء وضريبة العمر إلى الكنيسة اللاتينية.[3]

اهتم الصليبيون بكنيسة القيامة القبر المقدس التي كانت تعد من أعظم الكنائس الشرقية وأهمها آنذاك والتي كانت لها أملاك واسعة في الأراضي المقدسة وفي أوروبا، وقد وصفها الصوري بأنها كانت ذات شكل دائري على مرتفع قائمة على المنحدر الموجه للشرق....وترتفع أبراجها بماداتها ومن ناحية أخرى فإن سقفها مقام عن عوارض خشبية ترفع عاليا، ويتدخل بعضها ببعض على شكل التاج وهو منظم بهذا الشكل بحيث أنه مفتوح دائما للسماء حتى يزود بالنور اللازم داخل الكنيسة، وعندما تولى الأمير جود فرى دفة الحكم أمر بتعيين رجال الدين الكهنة الكاتلوك في تلك الكنيسة وأغدق عليهم الأموال والمنح وفضلا عن تخصيص منازل فخمة لهم في المنطقة المجاورة للكنيسة[4].

---

(1) هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ط 1، دار مجمع الفتح للجامعات، ليبيا، 1990م، ص 18.

(2) ماير، تاريخ الصليبية، المرجع السابق، ص 252.

(3) ماير، تاريخ الحروب، ص 251-252.

(4) تاريخ الحروب، ج2، ص 880-551.

قام الصليبيون بتوسعها وبناء صحن وممرات للقبة التي كانت قائمة في ذلك الوقت وقد أشار الرحالة دانيال الراهب خلال رحلته إلى الأراضي المقدسة في فلسطين إلى الأعمال العمرانية التي شهدتها كنيسة القيامة وتوسيع المباني والأماكن المتصلة بها.[1]

اهتم الصليبيون ببناء عدد من الكنائس والأديرة في البلاد التي احتلوها لتلبي الحجات الدينية للسكان الأوروبيين الجدد ولعل أهمها في القدس كنيسة الألمان الواقعة إلى الشرق من المسجد الأقصى أما في جني الأراضي فقد وجدت كاتدرانية القدس جميس التي أعاد الصلبين بنائها[2]، وكذلك أقام الصليبيون كنائس أخرى متفرقة مثل كنيسة بئر يعقوب عليه السلام الواقعة شرقي مدينة نابلس وكنيسة حملت اسم القدس جورج[3] وقد زينوها بالصور والتماثيل والنقوش اللاتينية[4] ، أما ما يتعلق بالأديار الجديدة التي بناها الصليبيون في بلاد جبل صهيوني الواقع غرب القدس وكذلك دير المنطقة الواقعة بين القدس وعين كرم عرف بدير الصليبين.[5]

ويمكن القول أن الحياة الدينية كان لها تأثير كبير في معظم الأحداث التي مرت بها دولة القدس الصليبية منذ تأسيسها حتى سقوطها.

2. الحياة الدينية للصلبيين في إمارة إنطاكية

لعل أبرز صورة في الحياة الدينية في إمارة إنطاكية هو الخلاف بين كنيسة أنطاكية وبيت المقدس حول الإشراف على كنيسة صور، ففي الوقت الذي أحكم فيه الصليبيون الحصار على صور فيما خضعت بالأمان في 23 من جمادى الأول 518هـ/ 8 من يونيو 1124م بدأ الصراع بين البطاركة فيمن يحقق له الإشراف على كنيستها، وهي ثالثة الكنائس الشامية في الوثنية، فيقول بطارقة أنطاكية إن صور كانت تبعة لهم زمن البيزنطية وهم أحق

(1) مصعب الحمادي الزيادي، المرجع السابق، ص 82.
(2) يوشع براور، عالم الصليبين المرجع السابق، ص 84.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج12، ص 72.
(4) وليم الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 927.
(5) أبو شامة المصدر السابق، ج2، ص 88.

بالإشراف عليها[1] ، بينما يقول بطاركة القدس إن مركزهم أزداد قوة بالامتيازات التي منحها البابا باسكال الثاني في روما لكنيستهم في عام 505هـ/ 1111م.[2]

"إذ أن مجلس أوفيرون ذلك المجلس النافذ السلطة الدائم كان قد أصدر قرار بالإجماع دون معارضة يقضي بوجود الاحتفاظ بأية مدينة عبر البحر العظيم يمكن انتزاعها من براثان الكفار إلى أبد الدهر، فضلا عن أن ذلك قد أعيد تثبته، وسلم به الجميع في المجلس وقد ثبت البابا هذه الامتيازات من حين لآخر، ونقلها لكنيسة القدس ولسوف تمتع كنيسة القدس بحق هذه الامتيازات ومستندة لسلطة كنيسة روما، إلى أبد الدهر"[3]

3. الحياة الدينية في إمارة طرابلس الصلبية

احتوت طرابلس على أربع أسقفيات تتبعها تسع مدن وردت في التشريعات باسم Civitates وهذه الاسقفيات هي: أسقفية أنطرطوس، وتبعها جزيرة أرواد ومراقية ، أسقفية طرابلس، وتتبعها البترون وعرفة وأرطوسية ، أسقفية جبيل ، أسقفية رفنية ، وبحسب التنظيم الكنسي كانت هذه الأسقفيات كلها تتبع أسقفية صورة التابعة بدورها إل بطريقة أنطاقة، وكان التنظيم الداخلي فيها يوافق نظائره في الكنائس الغربية فقد كان لكل منها مجتمع إقليمي يظم عداد من رجال الكهنوت النظامين والقساوية وزنيس للقساوية والمرتلين، وحاصل الأحتام ومعلم لاهوتي ومتولى حزاتها ومشرعها.[4]

وكان للكنيسة اقطاعية وأملاكها الخاصة، وكان من مواردها ضريبة العشور وايجارات العقارات والأديار التابعة لها ويغلب على الظن أن الكونت كان يحفظ ببعض الحقوق على أراضي الكنيسة ويتدخلو في القرارات الأسقفية وربما كان مرجع ذلك إلى أن بعض الأمراء يقطعون الأساقفية بعض أملاكهم.[5]

---

(1) هانس ابرهارد ماير، المرجع السابق، ص 25.

(2) وليم الصوري، المصدر السابق، ص234.

(3) فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص217.

(4) نعيمة عبدالسلام الساحلى، المرجع السابق، ص258.

(5) نفسه، ص259.

المطلب الثاني: التنصير المسيحي خلال الحروب الصليبية

– عند قيام الحروب الصليبية في العالم الإسلامي، وجدنا أن المسيحية بذلت جهودا كبيرة لغرس دياناتها في مناطق مختلفة في غرب وشرق العالم الإسلامي ويعتبر هذا الدافع للخروج البابوية للتنمر كمشروع ديني وسياسي خارج حدود القارة الأوروبية نحو آسيا– مما أكسبها خبرة تنصريه كبيرة وجعل أبناءها في الغرب الأوروبي شديدة التعصب والعداء لكل ما هو غير مسيحي بل ورفض الحوار مع أصحاب معتنقي الديانات الأخرى ونظرت إليهم على أنها كفار يجب إدخالهم إلى معسكر المسيحية ولو بالوسائل القسرية والقمعية.[1]

بمجرد استيلاء الصلبين على الأراضي المسلمين في بلاد الشام كان الهدف هو إخضاع الأماكن المقدسة في فلسطين للسيطرة المسيحية وإبعاد السيادة الإسلامية عنها، أيضا إلى محاولة لتنصر الشرق.

– حيث أشار أبن جبير خلال رحلته إلى الدور الصلبي الخطير في تغير هوية المنطقة وتحويلها عن الإسلام من خلال البعد التنصيري وذلك عند سيطرة الصلبين على عكاشة 1104/498م، فيذكر إن مساجدها تحولت وصارت كنائس وصوامعها صارت محل أحد النواقيس[2] والهدف في تغير هوية المنطقة الإسلامية تنصيرها من خلال القضاء على الدور الهام لأماكن العبادة الإسلامية ويمكن وصف ابن جبير بأنه شاهد عيان معاصر على تلك الحقيقة ألا وهي السياسة التنصيرية التي أراد الصلبين تنفيذها في منطقة الشرق الأدنى من أجل توسيع رفقة عالم المسيحية على حساب الإسلام والمسلمين.[3]

كذلك رواية الرحالة ابن جبير فأشار إلى رجل مغربي صحبة في طريق من دمشق إلى عكا وكانت الأخيرة خاضعة للسيادة الصلبية فيقول "وهو مابونة عمل بجاية، كان فتخلص على يدي أبي الدر المذكور وبقي في جملة صبيانة، فوصل في فأقلته إلى عكا وكان قد

---

(1) عبد الرحمان بن حسن حبنكة الميداني، أجنحة الفكر الثلاثة وخوافيها الإستشراق والاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، د ط، دار العلم، دمشق، 2000م، ص 29.

(2) ابن الجبير، المصدر السابق، ص 276.

(3) نفسه، ص 227.

صحب النصارى وتخلق بكثير أخلاقهم فما زال الشيطان يستهويه، ويغريه إلى أن نبذ دين الإسلام فكفر وتنصر مدة مقامنا بصور فانصرفنا إلى عكا وأعلمنا بخبره وهو بها قد بطش ورجس وقد عقد الزناز، وأستعجل النار وحقت عليه كلمة العذاب وتأهب لسوء الحساب وسحيق المآب نسأل الله عز وجل أن يثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة ولا يعدل بنا على الملة الحنيفة، وأن يتوفانا مسلمين بفضله ورحمته.[1]

– وأشار أسامة بن المنقذ في الرحالة وقدم لنا تصورات هامة عن الجانب التنصيري وقد أورد أمر أحد الرجال أعتنق الإسلام وحسن إسلامه وذلك من خلال قيامه بتأدية الصلوات المقروضة وصوم شهر رمضان، وتزوج ورزق بولدين، ومن بعد ذلك فر إلى إقامته خاضعة للسيادة الصليبية وأتنصر هو وأولاده.[2]

– أضف إلى ذلك أنه أشار إلى أحد الصلبين يقدم صور السيدة مريم وهي تحمل السيد المسيح طفلا ويخاطب أحد المسلمين بأن هذا هو الله صغيرا وقد استفاد أسامة بن منفذ من ذلك بقوله "تعالى كما يقول الكافرون علوا كبيرا"[3]

أدرك أسامة بن منفذ خلال الرحلة من تلك الأحداث خطوة البعد التنصيري كأحد أهداف المشروع الصلبي الذي رغب في تحويل مسلمي الشرق الأدنى إلى مسحيين يذنبون بالولاد لكنيسة روما وفق المذهب الكاثلوكي.[4]

يبين محمد مؤنس عوض الفارق بين روايتي أسامة بن منفذ وابن جبير أن الرجال المغربي كان مسلما إلى النصرانية أما الشباب الذي لجأ إلى الصلبين في ......فكان مسيحيا ثم تحول إلى الإسلام ثم ارتد عنه إلى المسيحية، ويلاحظ أن أسامة بن منفذ أورد

---

(1) ابن جبير، المصدر السابق، ص 254.

(2) أسامة بن منفذ، المصدر السابق، ص 167.

(3) نفسه، ص 173.

(4) جوزيف نسم يوسف، العرب والروم في الحروب الصليبية الأولى، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م، ص 70.

تلك الحادثة بصورة منفرد ولم يرد في كتابه إشارة أخرى لحادثة مشابهة للتنصير سواء الفردي أو الجماعي مما يعكس على الأرجح قلة إن لم تكن ندرة تلك الحالات مع عدم إغفال أن ارتداء الرجل المغربي أدى بالضرورة إلى ارتداد أبيه هو أمر يعكس الفارق في ارتداد الأعراب عن الأب صاحب الأسرة.[1]

وإلى جانب تلك الحوادث الفردية للارتداد عن الإسلام هناك حادثة جماعية مهمة لا تغفل في صورة ارتداد جماعي واعتناق للمسيحية وذلك في شمال الشام وبالتحديد في براعة في شمال شرق حلب، حيث حدثت حملة صلبيه بيزنطية هناك عام 1138م/532هـ بقيادة الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين 1118-11143م/512-537هـ وقد تمت مهاجمة حصن بزاغة وفي أعقاب الحصار الذي فرض عليه المسلمون بعد وقوعهم في قبضة أعدائهم غير أنهم نكثوا بعهودهم وغدروا بهم وفي تلك الأحداث تنصر قاضي بزاغة وما يقدر بأربعمائة من المسلمين، ويقرر البعض أن مثل ذلك الاعتناق كان من قبيل النقبة والتي تغنى أن يبطن المرء عقيدته ويظهر عكسها وهي التي يجيزها الإسلام وقت الخطر المحدق بآله تعد تلك الحادثة أكبر عملية ارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية.[2]

ولما باءت جميع محاولات الصلبين بالفشل في تنصير العام الشعب جنودا كانوا رعاية أو أطفالا اتجهوا لمحولة استمالة القيادات الإسلامية الحاكمة لتنصيرها على أساس أن ذلك سيسهل جر القطاعات الشعبية الأخرى إلى النصرانية تبعا كما يؤمن به القادة ويعتنقوه.

لدينا مثال على ذلك محاولة تنصير السلطان الكامل الأيوبي 615-635هـ/1218-1238م، خلال أحداث الحملة الصليبية الخامسة حيث قدم إليه القديس فرنسيس الأسيري ودعاه إلى اعتناق المسيحية غير أن السلطان الأيوبي اعتذر عن قبولها وعامل ذلك القدس معاملة وبلغ من تسامحه مع النصارى أنه كان يعقد مناضرات دينية بين العلماء المسلمين

---

[1] محمد مؤنس عوض، الحروب الصلبية السبيانية- المياه- العقيدة، ط1، القاهرة، دعين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص 99.

[2] محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص، 100.

والبطارقة المسحيين من ذلك: مناضرة بين البطريرك كيرلي بن القلق، وبولس البوشي مع عدد من فقهاء المسلمين.[1]

– نجد أن السياسة التنصيرية للصلبين سعت في البداية إلى معرفة عقائد المسلمين فترجموا القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 538هـ/1143م وذلك بناء على تكليف من جانب بطرس الموقر رئيس دير كلوني بفرنسا وكانت تلك الترجمة أقرب إلى التلخيص الموسع منها إلى الترجمة وهي الالتزام بالنص من ناحية الوقت والحرفية كما أنها لا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل القرآني وإنما تقوم باستخلاص المعنى العام في أجزاء الصورة الواحدة ثم تقوم بالتعبير عن هذا بترتيب خاص في أفكار المترجمة ويضاف إلى ذالك وجود أخطاء جزئية في فهم بعض الآيات القرآنية في تلك الترجمة وجدير بالذكر أن بطرس الموقر نفسه ألف كتابا مهما في مجال التنصير بعنوان "دحض العقيدة الإسلامية"

وهو باللاتنية: Liber Centra sertam suve hseresim[2]، ولضمان حماية النصارى من المؤثرات الإسلامية والرغبة في انتشار النصرانية بين المسلمين أرسلت الكنيسة وعدا إلى الجماعات المناوبة لها ليعطوا الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى قال وليم الطرابلسي أسقف كذا "نريد مرسلين لا جنودا لا استرداد.[3]

لقد أدرك المسلمون منذ أن المشروع لا يهدف إلى احتلال الأرض والسيطرة على الحواضر والعمران بل كان يهدف أيضا إلى اختراق الهوية والعبث بالعقيدة فتوحدت صفوفهم.

---

(1) نفسه، ص102.

(2) محمد عبد الله محمد المقدم، الجهود التبرسية للكنيسة الكتولكية في المنطقة العربية في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه في قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة المنصورة، 2010م، ص 124.

(3) فليب حتى، تاريخ لبنان منذ العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، تر وتحقيق: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ص ص، 394-395.

ويرى الدكتور محمد مؤنس عوض "أن الاتجاه التنصيري جاء من خلال أهداف مزدوجة حرص الصليبيون على تحقيقها وذلك من خلال تغير الواقع الديموغرافي وكذلك الطوبوغرافي العالم الإسلامي ولكن كل تلك المحاولات لم تكن لها محل استجابة في نفوس المسلمين فإبادتهم الراسخ، وعقائدهم الثابتة وقفت سدا منيعا لجميع محاولات التنصير التي حولها الصليبيون خلال فترة وجودهم في الشرق.[1]

[1] محمد مؤنس، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 98.

خاتمة

الخاتمة:

خاتمة

-من خلال هذه الدراسة توصلنا الى جملة من النتائج نذكر أهمها:

-تميزت بلاد الشام بموقع استراتيجي هام جعلها محط أطماع الغرب الأوروبي إذ شكلت حلقة وصل بين البحر المتوسط وهضبة الأناضول كما أنها تربط بين وادي الرافدين ووادي النيل وأوروبا من جهة أخرى.

-تعتبر بلاد الشام أرض الإسراء والمعراج ومحطة تقديس الديانات السماوية وذلك أنه تعاقب على زيارتها الأنبياء موسى وعيسى ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

-تميزت بلاد الشام بأهمية اقتصادية بارزة ذلك لتميزها بخصوبة أراضيها الزراعية إذ تميزت أيضا بالعديد من الصناعات المختلفة

-كانت بلاد الشام تعاني من الخلافات من الانقسامات المذهبية والسياسية قبل الحملة الصليبية إذ تمثلت في ضعف النفوذ الفاطمي وتفرق القبائل العربية.

-تعد الحرب الصليبية حلقة من حلقات الصراع بين المشرق والغرب الأوروبي، فهي حركة استعمارية في شكل هجوم مسلح ضد بلاد المسلمين، نابعة من دوافع دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

-الحملة الشعبية أو حملة الفقراء هي عبارة عن نضال ريفي لسد احتياجات الصليبيين الاجتماعية، زرعتها الكنيسة في جماهير الأقنان لتحقيق حلمهم في التحرر.

-كانت الحملة النظامية أو حملة الأمراء، أكثر الحملات انضباطا وأكبرها إحكاما، حيث شارك فيها أبناء وملوك أوروبا.

تعتبر إمارة الرها أول الإمارات الفرنجية الصليبية، أسسها بلدوين في بلاد الشام، تأسست بعد سقوط نيقية عاصمة السلاجقة خلال الحملة الصليبية الأولى، ولهذه الإمارة أهمية كبيرة باعتبارها أكبر إمارة صليبية وأشدها خطر على المسلمين.

-بسط الصليبيين نفوذهم في بلاد الشام، حتى وصلوا إلى أنطاكية وفرضوا عليها حصارا شديدا، حاول المسلمون نجدة أنطاكية وفك حصارها القاسي ولكن دون جدوى.

-بعد سيطرة الصليبيين على إمارة أنطاكية، استعدوا إلى احتلال بيت المقدس، لأنه يعتبر الهدف الرئيسي للحملة الصليبية حيث دخلها الصليبيون وقاموا بمجموعة من الجرائم الوحشية، واستطاعوا إقامة مملكة لهم في بيت المقدس.

-بعد سيطرة الصليبيين على بيت المقدس توجهوا لحصار طرابلس بقيادة ريموند المنجيلي، وقد دام هذا الحصار مدة ست سنوات بقيادة وليم جوردان ونائبه ريموند، الذين بذلوا قصارى جهدهم في الاستيلاء عليها.

- كان أثر الحروب الصليبية على حياة الاجتماعية واضح من خلال تغير تركيبة سكانية في بلاد الشام تمثل في أقلية العنصر المسلم، كانت بلاد الشام متعددة الأجناس، حيث ضمت عناصر عربية وتركية وكردية وسريانية فظلا عن الأرمن والبيزنطيين، غير أن العنصر العربي هو الذي شكل الأغلبية.

-عندما جاء الصليبيين إلى بلاد الشام جاءت معهم عناصر جديدة، زادت من تنوع الفسيفساء السكانية، ونتيجة لعملية الاستيطان والتهجير الجماعي والذي بدوره جعل التركيبة السكانية في حال من السيولة وعدم الاستقرار.

-كانت هناك تغيرات في عادات وتقاليد المجتمع الشامي زمن الحروب الصليبية، خاصة المصالح الاقتصادية وظهور طقوس جديدة في احتفالات الزواج مما أعتبرها المسلمون خرق للشريعة الإسلامية، والخروج عن التعاليم الإلهية، وتبين أيضا تأثير الحروب الصليبية في بروز مجموعة من الإفرازات السلبية في النظام القيمي الأخلاقي كانتشار الشذوذ الجنسي حيث عمدت النساء إلى التشبه بالذكور، وشاعت الخمور ومجالس النشوة.

-الاستيطان ظاهرة قديمة وهو عبارة عن هجرة جماعية بشرية من منطقة إلى منطقة أخرى، بهدف الإقامة فيها واتخاذها موطنا دائما، وقد ارتبط بالوحشية والعنف.

- لجأ رجال الدين والحكام اللاتين إلى تهجير السكان الأصليين من قراهم، ذلك أن عملية التهجير كانت ضمن السياسة الاستيطانية، واعتبروا أن الأرض هي العنصر المهم لإقامة أي تجمع بشري، وهو ما دعا إليه البابا أوربان الثاني للاستيلاء على بيت المقدس، باعتبارها الأرض التي تسمو فوق غيرها اعتمادا على نصوص من الأناجيل المسيحية.

-كانت أهداف الفرنجة منذ الحملة الصليبية الأولى، إحياء المسيحية في الأراضي المقدسة وتأسيس المستوطنات الصليبية، ذلك أن عملية الاستيطان تتطلب حيازة مجموعة من الأراضي لإقامة حكومة فرنجية، ولحماية هذه المستوطنات أنشأوا مجموعة من القلاع والحصون في مناطق استراتيجية لمنع الاتصال بين أبناء الشام ومصر وعرقلة الوحدة بينهم.

-عمد الصليبيين في القضاء على الحركة العلمية والفكرية للمسلمين وقاموا بتدمير المساجد وتحويلها إلى كنائس كاثوليكية، وقد كان الهدف من هذه السياسة هو القضاء على الهوية الإسلامي. -الحروب الصليبية كانت ذات طابع عسكري في حقيقتها، لكنها لم تكن مجرد صراع بين المسلمين والصليبيين فقط، بل نتجت عن ذلك علاقات اجتماعية تمثلت في تأثر المستوطنين الصليبيين بالعادات والتقاليد الشرقية من حيث اللباس وأدوات الزينة، وزودو بيوتهم بالأثاث الشرقي، وتأثروا أيضا بالحمامات العربية والتي تعتبر من أهم المؤسسات الاجتماعية في الإسلام.

-كان أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية والشيعية متناقضا، إذ أن الفرنجة عمقوا الشقاق بين السنة والشيعة تكتيكيا إلا أنه وحدهم استراتيجيا، حيث أن الشيعة لجأوا إلى السند السني سياسيا وعسكريا، لإنقاذهم من الفرنج ومن ناحية اخرى حدث شقاق بين النخب السياسية والذي لعب دور كبير في الهزيمة التي تعرضوا لها من خلال هذه الحملة.

-كان موقف الفاطميين في مصر سلبيا، ذلك أنها لم تدرك ما كانت تهدف إليه الحركة الصليبية، وهو ما دفع بالوزير الأفضل بالاتصال بالصليبيين بهدف تدمير السلاجقة ومحاولة انقسام الشام مع الصليبيين، وبعد تدارك هذا الأخير سعى إلى إرسال حملات عسكرية إلا أنها باءت بالفشل.

-تعتبر الإسبتارية والداوية من أكبر الهيئات الدينية التي سعت إلى خدمة الحجاج الفقراء الصليبيين ورعايتهم، واعتبروا أعمال الخير والإحسان أولى اهتماماتهم، وقد حظيت هذه الهيئات الدينية بمرتبة كبيرة تمثلت في إعفائها من الضرائب ومنحت لهم مجموعة من الممتلكات في بلاد الشام.

-عملت الكنيسة جهودها من أجل تحقيق سموها وفرض زعامتها وسلطانها على بلاد الشام.

-ورأت في المشروع الصليبي فرصة ذهبية لتحقيق مطامعها حيث وضعت الكنيسة اللاتينية نظام ديني جديد أثر سلبا على النظام الأرثوذكسي القديم، فقاموا بطرد أساقفها وعينوا أساقف لاتين جدد.

-اعتمد الصليبيين على مشروع البعد التنصيري في بلاد الشام والذي تمثل في بناء الكنيسة اللاتينية والعديد من الكنائس والديار، في جميع مناطق الشام وكذا تحويل الكنيسة الشرقية والمعالم الدينية الموجودة في بلاد الشام، ويمكن القول أن المشروع التنصيري خلال عصر الحروب الصليبية فشل فشلا ذريعا حيث أدرك المسلمون منذ البداية أن هذا المشروع يهدف إلى اختراق الهوية الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

المصادر العربية:

1. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تح، عبد الله القاضي، ج8، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، (1415هـ/ 1994م).

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، 1963.

2. أخضر البغدادي لطفي أسماء، الأمكنة والبقاع، تح، على محمد البجاوي، ج1، دار جبار للكتاب العربي، ط1، 1954م.
3. أسامة بن منفذ مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة ابن مرشد ابن علي، (ت 584هـ/1188م)، الاعتبار، تح: فيليب حتي، دار مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1930.
4. ابن تغري بردي جمال الدين أبو محسن يوسف، النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: إبراهيم طرحان، ج5، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، 1956.
5. جمال الدين علي بن ظاهر الأسيدي، (ت613هـ-1216م)، أخبار الدول المنقطعة لدراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين تقديم وتحقيق أندرية قرية، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1972م.
6. ابن حوقل ابو القاسم، صورة الأرض، منشورات المكتبة الحياة، د ط، بيروت، د س.
7. ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ-1505م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، تح: سهيل زكار، ج5، دار الفكر، د ط، بيروت، 2000م.
8. أبو داود سليمان بن الأشعب، السنن، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار الحديث، القاهرة، 1994م.
9. السيوطي، اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحق، أحمد رمضان احمد، ج1، دار الكتب والوثائق القومية، د ط، القاهرة، 2005م.
10. أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصالحية، تحق: إبراهيم الزبيق، ج1، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1997م.
11. ابن شداد، الإعلاق الخطير في ذكر أمراء الشام والجزيرة تح يحي زكرياء عبادة، ج1، منشورات وزارة الثقافة، ط1، سورية، 1991.

12. الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفات، مج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422 ه، 2002.

13. ابن طولون محمد بن على بن احمد. 953ه، قلائد الجوهري في تاريخ الصالحيات، تحقيق محمد احمد. ق1. دمشق،1980م.

14. عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج6.

15. أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير الأعلام والنبلاء، ج17، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

16. ابن العديم كمال الدين أبي القائم عمر ابن أحمد بن هبة الله، زبد الحلب في تاريخ حلب، ج2، ط1، تحقيق سهيل زكار، الكتاب العربي، دمشق، 1997.

17. ابن عساكر(ت499ه–571م)، تاريخ مدينة دمشق، تحق محب الدين أبي سيد عمر بن علامة العمري، ج1، دار الفكر، د ط، 1415ه– 1990م.

18. عماد الدين إسماعيل، ابن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ج16، تج، عبد الله بن المحسن التولي، 1998م.

19. أبو الفداء عماد الدين اسماعيل، تقويم البلدان، تحق، مالك كوكين ديسلان، باريس، 1850م.

20. ابن القلانسي أبو يعلى حمزة (ت555ه–1160م)، تاريخ ابي يعلى ابن القلانسي او المعروف بديل تاريخ دمشق، مطبعة الإباء اليسوعيين، 1908م.

- ، تاريخ دمشق (360–555ه/ 1088–1160م)، تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط 1، دمشق، 1403ه– 1983.

21. القلقشندي أبو العباس، صبع الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، ج4، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1997م.

22. المقدسي البشاري شمس أبو عبد الله، (ت 375ه/983 م)، احسن الأقاليم في معرفة الأقاليم، قدمه، وضع حواشيه، محمد مخزوم ، دار احياء التراث، ط1، بيروت ، 1987 م.

23. المقريزي تقي الدين أحمد ابن علي (ت845ه/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، تحق: محمد زينهم وميحة الشرقاوي، ج 3، دار مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 1997م.

24. إبن منظور، لسان العرب، ج1، دار الصادر، بيروت، د س.

25. ياقوت الحموي، معجم البلدان والأسماء، ج5، ط 2، دار صادر، بيروت، 1995.

26. ابن اليقاء عبد الله البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، ط1، بيروت، 1400ه – 1980م.

27. أبن الأخوة ضياء الدين محمد، معالم القرية في أحكام الحسبة، عن وضع حواشيه، ابراهيم شمس الدين، الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001 م.

المصادر المعربة:

1. رواية الراهب روبير عن مجمه كليرمون، الحملة الصليبية الأولى، نصوص وثائق، قاسم عبد القاسم، عين الدراسات والبحوث، القاهرة، 2001.
2. فوشية الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، تر: زيد العسلي، دار الشروق، د ط، عمان، 1990.
3. كارين ارستروغ، الحرب المقدسة "الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم"، سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، د ط، بيروت لبنان، 2005.
4. مؤلف مجمول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر، حسن حبشي، دار الفكر العربي، د ط، القاهرة، 1958.
5. ويليم الصوري، الحروب الصليبية (094م-1184م)، تر: حسن الجبشي، ج1، مؤسسة الأهرام لنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، 1998م، ص 1385.

المراجع المعربة:

1. أرنست باركر، الحروب الصليبية، تر، السيد الباز العريبي، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، د ت.
2. بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر حسين محمد عطية، تق جوزيف سنيم، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1998م.
3. توديبوس، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، تق، جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1998م.
4. توماس ماشناك، السلام الصليبي، تر: البشير السباعي، دار النشر المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009م.
5. جوناتان ريلي سميث، الإسبتارية القديس يوحنا بيت المقدس وقبرص، (1050-1310)، تر: العميد الركن صبحي الجابي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1979.

- الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، تر، محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، القاهرة، 1999.

6. ريموند سميل، الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت،1967.

7. ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، تر نور الدين خليل، ج1، دار النش الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط2، القاهرة، 1996م.

8. ستيفن هوارت، فرنسا الهيكل القصة الأساسية تر: إبراهيم محمد إبراهيم، دج، المركز القومي، ط1، للترجمة، القاهرة، 2013.

9. سميل، ريس سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر، (1097-1293)، ترجمة محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات، العربية ط1، دمشق، 1982.

10. ميخائيل، زابوروف، الصليبيون في الشرق،تر: الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، دط، 1986م.

11. هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ط 1، دار مجمع الفتح للجامعات، ليبيا، 1990م.

12. يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت القدس، تر: عبد الحافظ البنا، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة 2001م.

- عالم الصليبيين، تر وتق، قاسم عبدو قاسم، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ط1، 1999.

المراجع العربية:

1. أحمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ط1،

2. أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، دط، القاهرة، 1977.

3. أحمد عبد الله الأحمد، الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن 6-7ه/ 12-13م، القاهرة. دار الافاق العربية، دط، 2016م.

4. أحمد وصفي زكرياء، عشائر الشام، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1403 ه-1983م.

5. أسامة زكي زيد، الصلبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري، الهيئة المعرفية العامة للكتاب، د ط، الإسكندرية 1980.

6. إسمنت غنيم، تاريخ الحروب الصليبية، جامعة الإسكندرية، د ط، 1996م.

7. تيسير بن موسى، نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحملات الصليبية حتى وفاة نورالدين، الدار المعرفية للكتاب، د ط، د ب، د ت.

8. جعفري برون، تاريخ أوروبا الحديثة، تر، علي المرزوقي، دار الأهلية، ط1، عمان، 2006م.

9. جوزيف نسم يوسف، العرب والروم في الحروب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1983م.

10. جويف نسيم يوسف، الإسلام والمسيحية وصراع بينهما في العصور الوسطى، دار الفكر الجامعي، ط1، الإسكندرية، 1986، ص 188.

11. حسن عطرلي، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط1، دار الجيل بيروت، لبنان، 1407 هـ-1987م.

12. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

13. الحويري، محمود محمد، الأوطان الحضارية في بلاد الشام في الثاني عشر والثالث عشر، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1979م.

14. راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين الزنكي، مؤسسة اقرأ، ط 1، القاهرة، 2008م.

15. سرور محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964م، ص 78.

16. سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1404-1984م.

17. سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1984م.

18. سعيد عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهظة العربية، دط، بيروت، 1976م.

19. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، ج1، مكتبة أنجلو المصرية، كلية آداب، دط، جامعة القاهرة 1963.

20. سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنيسة في مملكة بيت المقدس 1099-1291م/492-690م، الشيماء للنشر والتوزيع، ط2، فلسطين، 2016م.

21. طقوش سهيل، تاريخ الحروب الصليبية حروب الفرنجية في المشرق (589-690م- 1096-1291م)، دار النفائس، ط1، 1432-2011.

22. عبد الرحمان بن حسن حبنكة الميداني، أجنحة الفكر الثلاثة وخوافيها الاستشراق والاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، د ط، دار العلم، دمشق، 2000م.

23. عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط8، القاهرة، 1968.

24. عزيز سوريال عطية، الحروب الصليبية والعلاقات بين الغرب والشرق، دار الثقافة، ط2، القاهرة، 1998.

25. عصام مصطفى عقلة وفوزي خالد الطواهية، زيارة العلماء للقدس في ظب احتلال الفرنجي الصليبي، المجلة الأردنية للتاريخ والاثار المجلد 11، العدد 3، 2017م.

26. عفيف البهنسي، الشام والحضارة دراسة تاريخية، وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1986م.

27. على السيد. الخليل والحرم الابراهيمي في عصر الحروب الصليبية 492هـ. 583هـ/ 1099-1187م. دار الفكر العربي. ط1، القاهرة 1998.

28. علي سعود عطية، تاريخ الحروب الصليبية، ط1، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوزيع، القاهرة، 2010.

29. علي محمد الصلابي، دولة السلاجقة، مؤسسة اقرأ، ط1، القاهرة، 2006.

30. الغامدي مسفلر، الجهاد ضد الصلبين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار المطبوعات الحديثة، ط1، جدة، 1406هـ/1986م.

31. فليب حنى، تاريخ لبنان منذ العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، تر وتحقيق: أنيس فريحة، دار الثقافة، د ط، بيروت.

32. قاسم عبد قاسم، الحرب الصلبية الأولى نصوص ووثائق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ط، 2001م.

- ماهية الحروب الصليبية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية، د ط، القاهرة، 1993م.

33. محمد بن مختار الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية مع العلاقات السنية والشيعية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2016م.

34. محمد سهيل طقوس، تاريخ الحروب الصليبية (الحروب الفرنجة في الشرق) ، دار النفائس، ط1، بيروت، 2010م.

- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام (471-511هـ/ 1078-1117م)، دار النفائس، ط3، بيروت، 2009.
- تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام، (297-567هـ/910-1171م)،دار النفائس، ط2، بيروت، 1428هـ-2007م.

35. محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، 489-1206هـ/ 1096-1404م، منشورات مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1399هـ-1979م.

36. محمد مؤنس عوض، الحروب الصلبية السبيانية-المياه-العقيدة، القاهرة، دعين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1.

- الحروب الصلبية بين الشرق والعرب، عين الدراسات والبحوث، ط1، القاهرة، 1996م.
- تاريخ الحروب الصليبية – التنظيمات الدينية والحربية ي مملكة بيت المقدس اللاتينية، ق 16-17هـ . 12-13م ، دار الشروق، ط 1،عمان 2004.
- عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ط1،القاهرة، د ت.

37. محمود العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي تونس، ط2، 1982.

- تاريخ الحروب الصلبية 1095-1211م، دار المعرفة الجامعية، د ط، الاسكندرية، 2000م.

38. محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1998.

39. مصطفى قداد. الاستيطان الصليبي لبيت المقدس. مجلة دراسات بيت المقدس . مج6، ع3. 2020.

40. مصعب الحميدي الزيادي، الصليبيون في بلاد الشام، دار النهضة العربية، بيروت، 2013م.

- الاستيطان الأوربي في بلاد الشام، دار النهضة العربية، د ط، بيروت:2023م.
- عسقلان والحروب الصليبية، دار المعتز، د ط، عمان 2019م.

41. ناجلا محمد عبد النبي، المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء قوانين المملكة، الإسكندرية، د ط، د.ت.

42. نعيمة عبد السلام الساحلى، الاستيطان الفرنجي وتأثيره في البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للكيانات الصليبية في فلسطين والساحل الشامي، دقيبة، ط1، دمشق، 1430ه/ 2009م.

43. نهى فتحي الجوهري ، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري ، دار العالم العربي، ط1، القاهرة ،2008.

44. ياسين السويد، حروب القديس في التاريخ الإسلامي والعربي، د.ج، دار المتلقي ببيروت، ط1، 1997.

45. يوسف درويش غوانمة. دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي. عمان. 1983م.

المجلات:

1. مصطفى قداد، الاستيطان الصليبي لبيت المقدس وتهجير المقدسين، مجلة دراسات بيت المقدس، قسم اللغة العربي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة ماردين أرتقلو، تركيا.

الرسائل الجامعية:

1. أحمد ابن خيرة، دور المغاربة والأندلس في الحروب الصليبية ما بين القرن 5 و9ه، شهادة الماجيستر في تاريخ الوسيط، المشرف شرفي أحمد، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الجزائر 2، 2011.

2. إيمان أحمد حسين مقابلة، القرية في بلاد الشام في العصر المملوكي، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، 1998م.

3. حازم أحمد سليم الحلاق، الأوضاع الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية والسياسية للمشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، (334-490هـ/945-1097م)، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، 1436هـ-2014م.

4. علي محمد علي عودة الغامدي، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي 463-491/ 1070-1098، مذكرة لنيل درجة ماجيستير، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة في سنة 1402هـ/ 1982م.

5. ليلى آزار، المملكة اللاتينية في بيت المقدس في عهد بلدوين الأول (493-512هـ/1100-1118م) رسالة لنيل شهادة الماجستر الوسيط، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 46.

6. محمد عبد الله محمد المقدم، الجهود التبرسية للكنيسة الكتولكية في المنطقة العربية في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه في قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة المنصورة، 2010م.

7. ميسون هاشم مجيد، أوضاع بلاد الشام فيل الحروب الصليبية (460-490هـ/ 1067-1097)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1994.

8. وفاء جوني، الحياة الإدارية والسياسية في الإمارات الفرنجية الصليبية في بلاد الشام، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، 1041هـ-1919م.

المراجع الأجنبية:

1. Riant : Inventaire des Lettres Historiques des crois a des Archies de l'orint

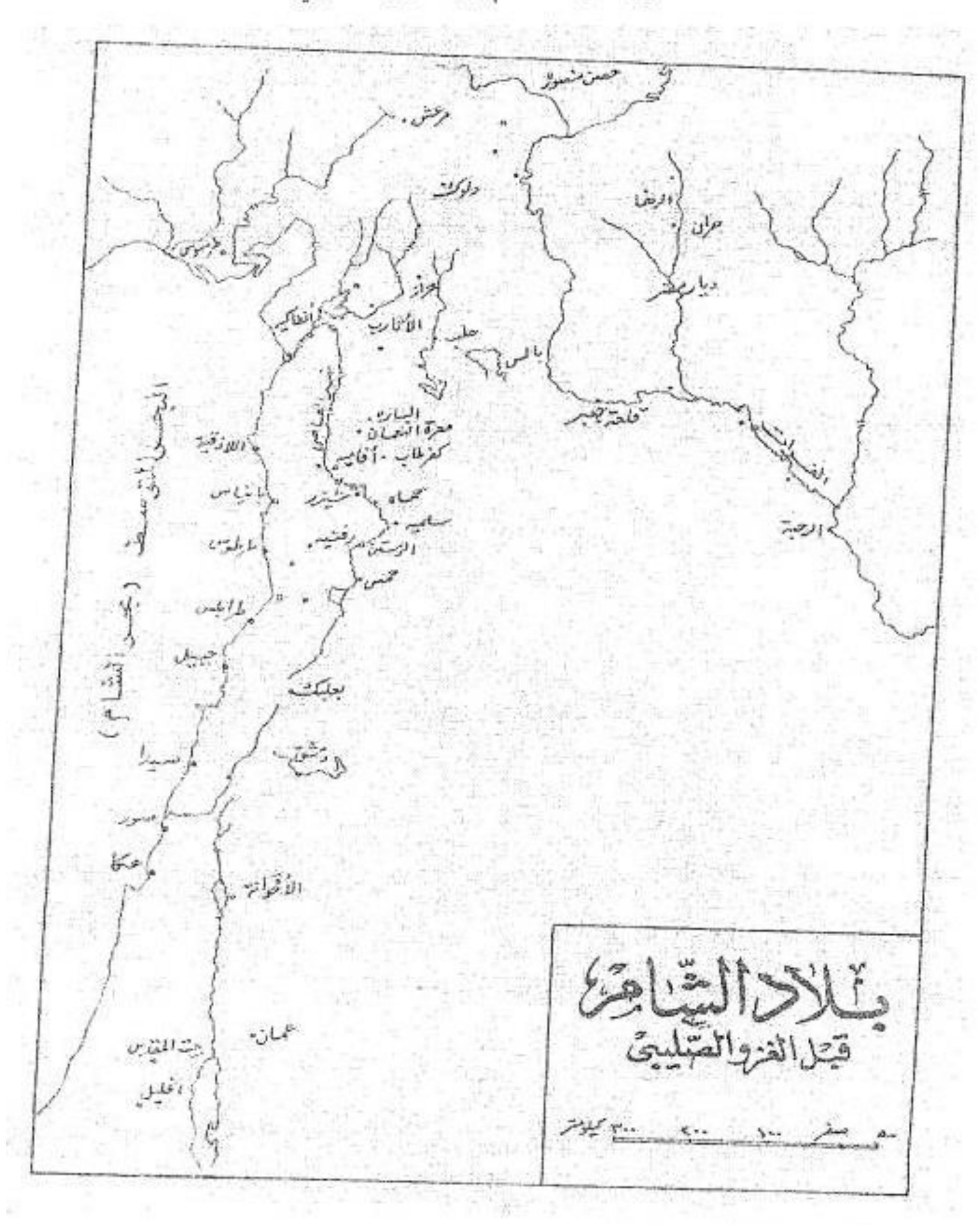
2. Prawer.J: The Latin Kingdom of erusalem, London.

3. Conder.C.R tlelstin Kingdom of Jerusalem –London, 1897.

الملاحق

الملحق رقم (01)

خريطة بلاد الشام قبل الغزو الصليبي



المصدر: الغامدي ، بلاد الشام ص 357.

المحق رقم (02)

1) خطاب أوربان الثاني إلى كل المؤمنين في الفلاندرز في ذي القعدة 488هـ/ديسمبر/1095م :

(إننا نعتقد، أيها الأخوة، أنكم علمتم منذ زمن طويل من مصادر عديدة بالأخبار المحزنة عن أن البرابرة، في هياجهم، قد غزوا ونهبوا كنائس الرب في الأقاليم الشرقية و الأسوأ من ذلك أنهم استولوا على مدينة الرب المقدسة التي ازدانت بعذابه و قيامته – و هذا قول فيه تجديف – باعوا كنائسهم في عبودية مقيتة. وإذا فكرنا بإخلاص في هذه المصيبة، وخزنا بسببها، فإننا زرنا بلاد الغال و حرضنا السادة و الرعايا بحمية في هذا الإقليم على تحرير الكنائس الشرقية.و في مجمع عقد في أوفريني، كما هو معلوم فرضنا عليهم التزامات بأن ينجزوا مثل هذا المشروع العسكري لمحو كافة خطاياهم. و عينا نائبا عنا قائدا لهذه الحملة و هذا العمل، و هو إبننا العزيز أدميار ، أسقف لي بوي. ويترتب على هذا أن كل من يقرر أن يذهب في هذه الرحلة يجب أن يطيع أوامره كما لو كانت صادرة، و يجب أن يخضع لسلطانه تماما في الحلل و العقد في أية قرارات به و متصلة بعمله. و إذا نادى الرب أو الرجال من بينكم لآخذ هذا القسم، فأنهم يجب أن يعملوا أنهم سوف ينطلقون، بعون الرب في عيد صعود مريم العذراء (15 أغسطس) و أن ينضموا إلى رفاقهم في هذا اليوم) .

2) خطاب أوربان الثاني إلى أتباعه في بولونيا في 27 ذي الحجة 490هـ/15 سبتمبر/1096م :

(نقدم شكرنا إلى نيافتكم، لأنكم على الرغم من وجودكم بين الإنشقاقيين و الهراطقة، وقف بعضكم دائما بصلابة في الدفاع عن العقيدة الكاثولوكية، على حين أن الآخرين ممن تجلت لهم الحقيقة برحمة الرب تركوا سبيل الخطأ، و هم الآن حكماء في مذاهب العقيدة الكاثولوكية، و من ثم فإننا نشجعكم يا أحباء الرب على أن تواصلوا بشجاعة السير على درب الحقيقة، و أن تحاولوا إنهاء ما بدأتموه على هذا الشكل الطيب، في نهاية أفضل، لأنه ليس ذلك الذي يبدأ، و إنما ذلك الذي يواصل حتى النهاية هو الذي سينال الخلاص. و قد عينا خاصة لمحبتكم أخانا المبجل الأسقف برنارد، الذي تتاسب رعايته المقدسة نيابة عنا جماعتكم كرعية. و إذا كنتم تحبون الرب فإنكم يجب أن تظهروا هذا الحب لنائبه، لأن المسيح نفسه قال عن مثل هذا الشخص : أن من يسمعكم يسمعني. و قد سمعنا أن كثيرين منكم قد هاجهم الشوق للذهاب إلى

أورشليم، و هو ما يجب أن تفهموا أنه قد سرنا كثيرا. و يجب أن تعلموا أيضا أنه إذا ذهب أي رجال منكم إلى هناك، لا لرغبتهم في المكاسب الدينيوية، و إنما فقط لخلاص أرواحهم لتحرير الكنيسة، فإننا بمقتضى سلطتنا، و سلطة كل كبار الأساقفة، و كل أساقفة بلاد الغال، بفضل رحمة الرب العظيم و صلوات الكنيسة الكاثوليكية، نعفيهم من التكفير المفروض عليهملقاء خطاياهم التي اعترفوا بها اعترافا كاملا، لأنهم خاطروا بأملاكهم و حياتهم في حب الرب و حب جيرانهم. و لكننا لا نسمح للرهبان أو القساوسة بالذهاب ما لم يحصلوا على إذن من أساقفتهم و مقدمي أديرتهم. كذلك يجب على الأساقفة أن يحرصوا على عدم السماح لرعايا أبرشياتهم بالذهاب بدون النصيحة و بدون علم القساوسة المسبق، كما يجب أن تراعوا أن الشباب المتزوجين لا يجب أن يندفعوا في رحاة طويلة كهذه دون موافقة زوجاتهم. وليساعكم الرب العظيم في خشيته و في حبه، و ليقودكم هو و قد تحررتم من الآثام و الأخطاء، و ليرشدكم إلى أن تفهموا كيف تحبونه فوق كافة الأشياء، وتبدون له الإخلاص الحقيقي) .

3) خطاب أوربان الثاني إلى جماعة دير فالومبروسا في 17 رمضان 490 هـ/7/ أكتوبر/1096م :

(لقد سمعنا أن بعضكم يريدون الإنطلاق مع الفرسان الذاهبين إلى القدس بقصد طيب لتحرير المسيحية. وهذا نوع من التضحية الحقة، و لكن خطته جاءت من أشخاص غير مناسبين، لأننا كنا نستفز أذهان الفرسان للذهاب إلى هذه الحملة، لأنهم قد يكونون قادرين على كبح وحشية المسلمين بسلاحهم و يعيدون للمسيحيين حريتهم السابقة،و نحن لانريد لأولئك الذين هجروا العلم و نذروا أنفسهم للحرب الروحية أن يحملوا السلاح أو يذهبوا في هذه الرحلة، بل إننا نمنعهم من عمل ذلك. كما أننا نمنع المتدينين – من القساوسة و الرهبان – من أن ينطلقوا في هذه الصحبة دون إذن من أساقفتهمأو مقدمي أديرتهم وفقا لحكم االقوانين الكنسية المقدسة. فإن سلامة التقدير في مهنتكم الدينية يجب أن تمنعكم من المخاطر بإهانةالكرسي الأسقفي أو تعريض أرواحكم للخطر. و قد سمعنا أن زميلكم، مقدم دير سان ريبارتو، يفكر في ترك جماعتكم و ترك نظامكم الديري بأسره، و هكذا فإننا في هذا الخطاب نرسل له أمرا و به نعني أننا نمنعه من أن يجرؤا على حكم نفس الدير بعد ذلك دون إذن من رئيسكم العام، الذي تسمونه المقدم الإسمي، و إذا لم يمتثل بالطاعة، هو وكل من يجرؤا على تركجماعتكم، يجب قطعه بسيف الحرمان الرسولي.

حرر في كريمونا في السابع من أكتوبر. و نحن نريد منكم قراءة هذا الخطاب على الرهبان المجتمعين و الأخوة العلمانيين، و لتعلمالأديرة الأخرى بمحتواه) .

4) خطاب أوربان الثاني إلى كونتات بيسالو، و امبورياس، وروسيللون، و سردينيا و فرسانهم ما بين محرم 490هـ إلى 9 رمضان 493 هـ/ يناير1096م إلى 29 يوليو/1099م :

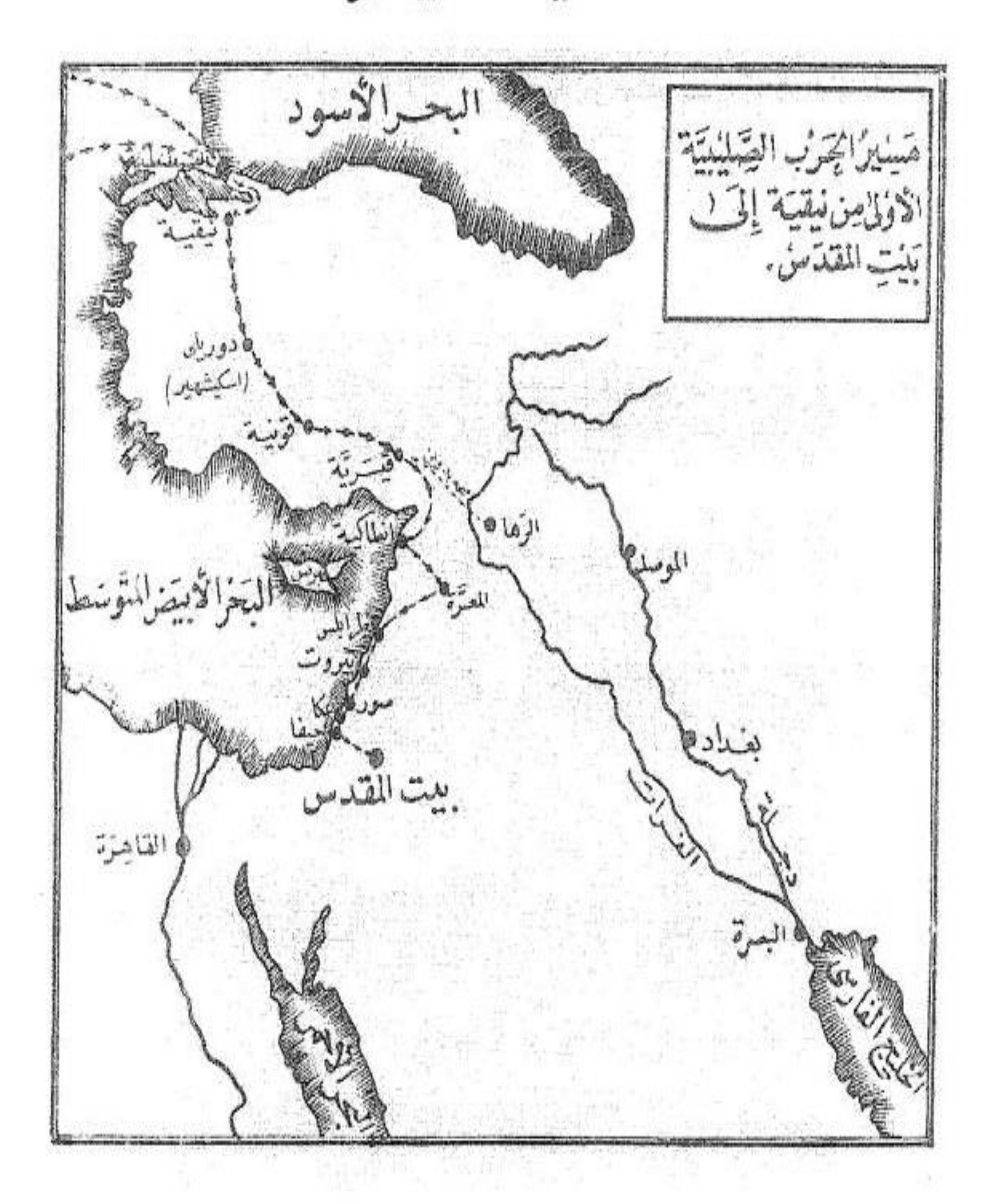
(إننا نتوسل إلى سيادتكم بحرص شديد لصالح المدينة أو لصالح كنيسة تراجونا، و نأمركم أن تبذلوا جهدا حماسيا لاستعادتها بكل وسيلة ممكنة لمحو خطاياكم لأنكم تعلمون كم ستكون دفاعا عظيما لشعب الرب و كيف ستكون ضربة مرعبةللمسلمين، إذا ما شاءت رحمة الرب، إذا ما تمت استعادة موقع هذه المدينة الشهيرة. و إذا كان الفرسان في ولاية أخرى قد قرروا جميعا أن يذهبوا لمساعدة الكنيسة الأسيوية و أن يحرروا إخوانهم من طغيان المسلمين، فكذلك يجب عليكم جميعا و بتشجيعا أن تبذلوا قصارى جهدكم لمساعدة كنيسة قريبة منكم هكذا لمقاومة غزوات المسلمين. و لا ينبغي لأحد أن يشك في أنه لو مات في هذه الحملة حبا في الرب و في إخوانه، فإن خطاياه سوف تغتفر، و سوف ينال بالتأكيد نصيبه في الحياة الخالدة بفضل رحمة الرب الواسعة...لإنه ليس من الخير في شيء أن تنقذ المسيحيين من المسلمين فقطلكي تعرضهم في مكان آخر لطغيان المسلمين و اضطهادهم. فليوقظ الرب العظيم في قلوبكم حب إخوانكم و يكافئكم على بسالتكم بالنصر على الأعداء)[1] .

---

[1] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص ص 209 – 211 .

الملحق رقم (03)

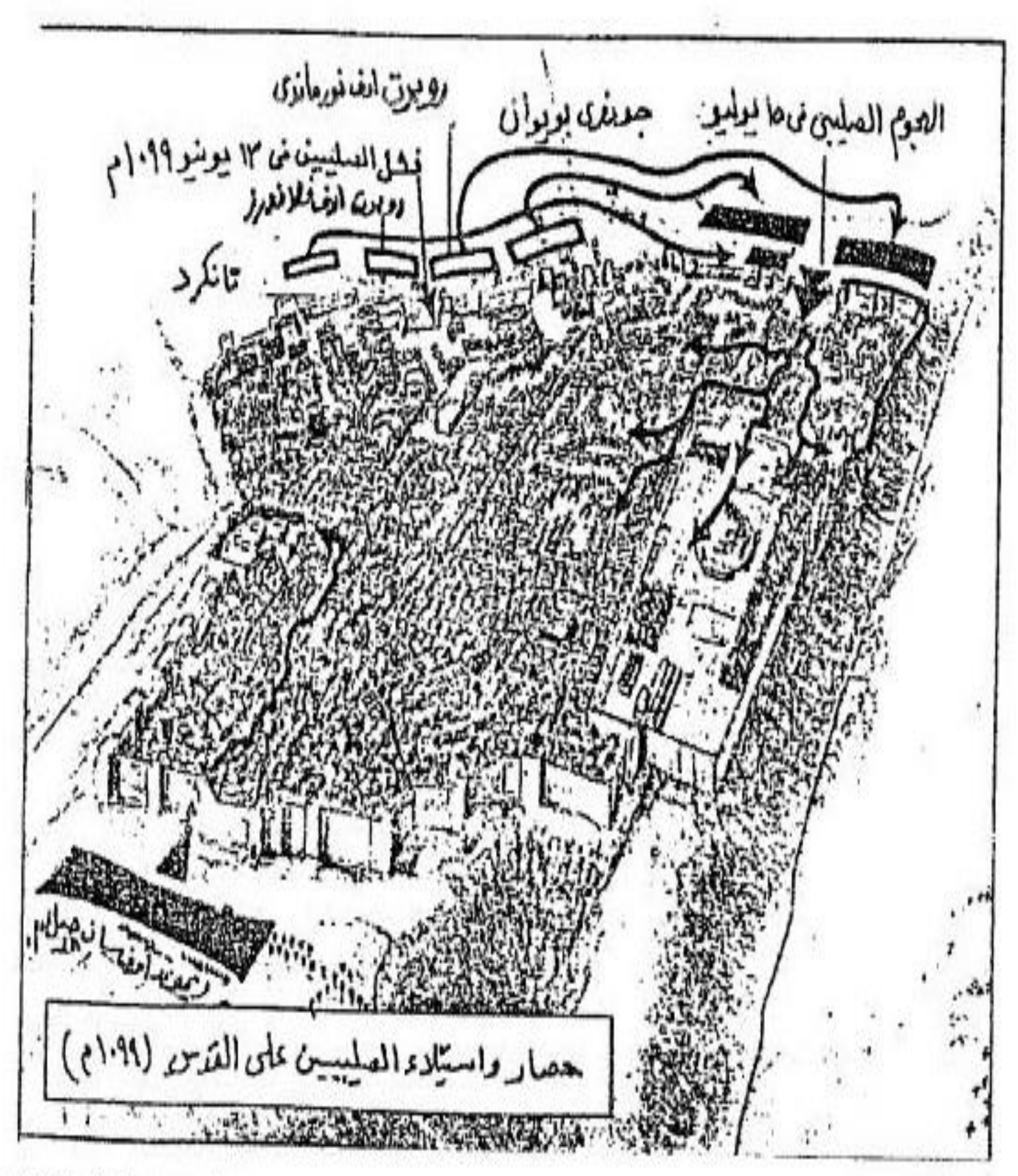
خط سير الحملة الصليبية الأولى



المصدر: المطوي، الحروب الصليبية، ص 53.

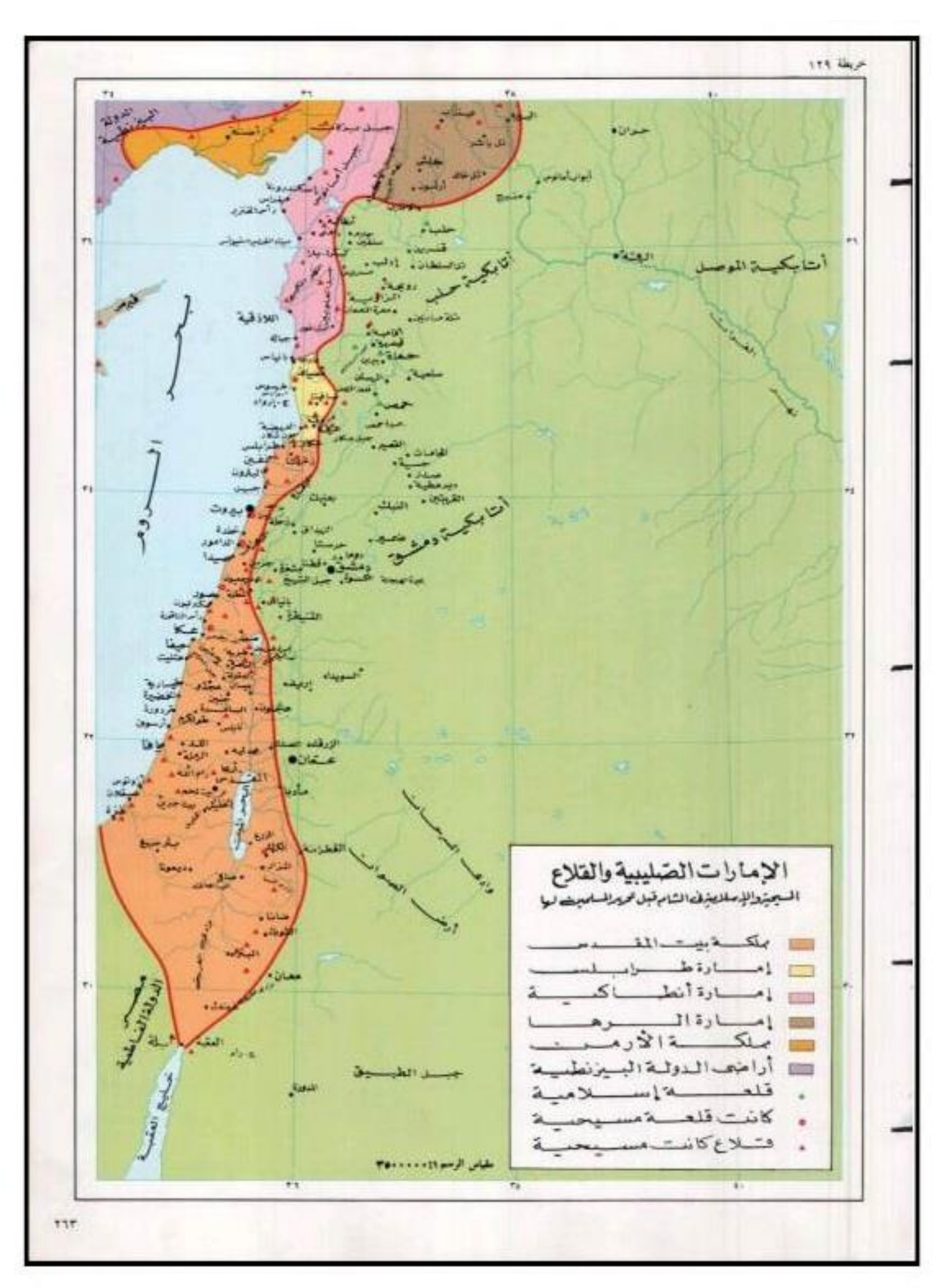
الملحق رقم (04)

حصار الصليبيين للقدس عام 1099م/492هـ



ATIAS of the crusades.

المحلق رقم (05)



الإمارات الصليبية المؤسسة في بلاد الشام والجزيرة

خلال الحملة الصليبية الأولى

(1) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص 263.

المحلق رقم (06)



نانكرد، أمير أنطاكية بزيّ عربي

عبدالله الربيعي، اثر الشرق الاسلامي في الفكر الاوروبي خلال
[illegible]

الملحق (07): الترتيب الكنيسي في بيت المقدس بعد الحملة الصليبية الأولى

1–البابا:

أ–البابا أوربان الثاني: (492/1099م)[1]

ب–البابا باسكال (512هـ/1118م)[2]

2–الأساقفة:

أ– أديمار: أسقف الأبوي الرئيسي (الروحي للجيش الفرنجي)[3]

3–القساوسة:

ديمبرت: بطريرك القدس (498هـ/1104م)[4]

الملحق رقم (08): أبرز الكنائس التي أنشأها الصليبيون بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى.

	اسم الكنيسة	موقعها
1	كنيسة بطرس	في مدينة أنطاكية[5]
2	كنيسة انطاكية	في أنطاكية[6]
3	كنيسة القيامة	في القدس[7]
4	كنيسة القديسة مريم 1103م	في القدس
5	كنيسة القديسة أن	في القدس[8]

(1) الشارتي تاريخ الحملة إلى بيتت المقدس، المصدر السابق، ص 83.
(2) نفسه، ص 162.
(3) نفسه، ص 64.
(4) نفسه، ص 131.
(5) نفسه، ص 53.
(6) نفسه، ص 54.
(7) نفسه، ص 71
(8) Conder.C.R tlelstin Kingdom of Jerusalem –London, 1897, P 187.

ملخص الدراسة:

عاشت الدولة الإسلامية جملة من الصراعات المتعددة التي كان لها الأثر البالغ أهمها الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام خلال القرن 5 و6 هـ/11و 12م،كان له أثر كبير على الجوانب الاجتماعية والدينية، حيث شهدت بلاد الشام موجة من الصراعات والتحولات الاجتماعية خاصة في البنية السكانية، إذ أثرت سلبا على المجتمع الشامي وكذا تهجير المسلمين والسكان الأصليين من قراهم من طرف رجال الدين والحكام اللاتين وهي عبارة عن سياسة فرنجية استيطانية، أنتجتها المملكة الصليبية على أراضي المسلمين. وقد تسببت الحروب الصليبية في تصاعد التوترات الدينية بين المجتمعات المسلمة والمسيحية، والتي تمثلت في تناقض العلاقات بين السنة والشيعة، حيث لجأت الشيعة إلى السند السني سياسيا وعسكريا للقضاء على الفرنج، ومن ناحية اخرى تشقق العلاقات بين ملوك المسلمين والنخب السياسية والذي كان سبب في هزيمتهم خلال الحروب الصليبية.

Summary

The Islamic state experienced a number of multiple conflicts that had a great impact, the most important of which was the Islamic Crusader conflict in the Levant during the 5th and 6th centuries AH / 11th and 12th centuries AD, which had a great impact on the social and religious aspects, as the Levant witnessed a wave of conflicts and social transformations, especially in the structure population, as it negatively affected the Levantine society, as well as the displacement of Muslims and indigenous people from their villages by clerics and Latin rulers, which is a settlement Frankish policy, produced by the Crusader kingdom on Muslim lands. The Crusades caused an escalation of religious tensions between Muslim and Christian communities, which were represented In the contradiction of the relations between the Sunnis and the Shiites, where the Shiites resorted to the Sunni support politically and militarily to eliminate the Franks,and on the other hand, the cracked relations between the Muslim kings and the political elites, which was the reason for their defeat during the crusades

فهرس المحتويات

الشكر	الصفحة
الإهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
أولا :أسباب اختيار الموضوع	ب
ثانيا: أهداف الدراسة	ج
ثالثا: حدود الدراسة	ج
رابعا: الإشكالية	ج
خامسا: المنهج العلمي	د
سادسا: خطة البحث	د
سابعا: صعوبات الدراسة	هـ
ثامنا: عرض لأهم مصادر ومراجع البحث	هـ
مدخل تمهيدي: المجال الجغرافي لبلاد الشام وأهميته في الصراع الإسلامي الصليبي	
1- المجال الجغرافي لبلاد الشام	ي
2- أصل التسمية	ك
3-أهمية مواقع بلاد الشام في الصراع الصليبي الإسلامي	م
الفصل الأول: الفصل الأول: الصراع الإسلامي الصليبي على بلاد الشام وتأسيس الإمارات الصليبية في القرن 5-6 هـ و 11-12 م	
المبحث الأول: أوضاع بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية	17
المبحث الثاني: الصراع الإسلامي الصليبي على بلاد الشام (ماهية –الدوافع)	19
3. ماهية الحرب الصلبية	19
4. دوافع الحروب الصليبية	21
المبحث الثالث: الصراع الإسلامي الصليبي على بلاد الشام	27
3. الحملة الشعبية	27

4. الحملة النظامية (489هـ-1096م)	28
المبحث الرابع: تأسيس الإمارات الصليبية في بلاد الشام	32
3. تأسيس إمارة الدها	32
4. تأسيس إمارة إنطاكية	34
5. تأسيس بيت المقدس	36
6. تأسيس إمارة طرابلس	40
الفصل الثاني: أثر الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام على الحياة الاجتماعية خلال قرن 5 و6هـ/ 11 و12م	
المبحث الأول: أثر الحروب الصليبية على التركيبة السكانية في المجتمع الشامي	43
1. أثر الحروب الصليبية على التركيبة السكانية في بلاد الشام	43
المبحث الثاني: أثر الحروب الصلبية على العادات وتقاليد المجتمع الشامي	51
المبحث الثالث: الاستيطان الصليبي وخطر تهجير العنصر المسلم	60
المطلب الأول: سياسة الاستيطان الصليبي	60
المطلب الثاني: العناصر الأساسية للاستيطان الصليبي	64
المطلب الثالث: أهداف الاستيطان الصليبي	66
المطلب الرابع: أثر الاستيطان الصليبي على المعالم الدينية في بلاد الشام	69
المبحث الرابع: العلاقات الاجتماعية بين المعلمين والصلبين	72
المطلب الأول: التفاعل الاجتماعي بين المسلمين والصليبيين	72
الفصل الثالث: أثر الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام على الحياة الدينية خلال قرن 5 و6هـ/ 11 و12م	
المبحث الأول: السنة والشيعة الإمامية في مواجهة الفرنجة	77
المبحث الثاني: السنة والشيعة الإسماعيلية في مواجهة الفرنجة	79
المطلب الأول: العلاقة مع الخلافة العباسية	81

المطلب الثاني: الفاطميون بين البويهيين والعباسيين	82
المبحث الثالث: نشاط الهيئات الدينية الصليبية في بلاد الشام	**84**
المطلب الأول: تعريف هيئة الفرسان الاستشارية (فرسان القديس يوحنا)	84
المطلب الثاني: النشاط الديني لهيئة الإسبتارية	85
المطلب الثالث: هيئة الداوية	87
المطلب الرابع: امتيازات الهيئات الدينية	89
المبحث الرابع: الحياة الدينية للصلبيين في بلاد الشام	**91**
المطلب الأول: الحياة الدينية للصليبيين في الإمارات الصليبية	91
المطلب الثاني: التنصير المسيحي خلال الحروب الصليبية	97
خاتمة	**103**
قائمة المصادر والمراجع	**108**
قائمة الملاحق	**117**
ملخص الدراسة	
الفهرس	